الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي- تيسمسيلت
معهد اللغات والآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي مسومة بـ:

جهود المستشرقين في الحضارة العربية "زيغريد هونكه" أنموذجا

تخصص: أدب عربي قديم

من إعداد :
- قناوي فاطيمة
- كرنافية نعيمة

إشراف الدكتور:
فتح الله محمد

لجنة المناقشة:

الرئـــيس	بن بغداد أحمد
الــمشرف	فتح الله محمد
الـــمناقش	يلخياطي لونيس

السنة الجامعية:
1438-1439هـ/2017-2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

تشكرات

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه

ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن

سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله.

بعد شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث

المتواضع نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من قدم لنا يد العون من قريب

أو بعيد، على رأسهم الوالدين الكريمين اللذان مهدا لنا طريق العلم

وأعانونا على الاستمرار والنجاح، كما نتوجه بالشكر إلى الأستاذ

المشرف الدكتور "فتح الله محمد"، دون أن ننسى الدكتور" محمد الرفيعي"

إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بالمركز الجامعي

-أحمد بن يحي الونشريسي-

"رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي

أن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك

في عبادك الصالحين"

إهـــــــداء

إلى من وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله.... إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى....

إلى الإنسان الذي امتلك الإنسانية بكل قوة.... إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم.... إلى مدرستي الأولى في الحياة.....

أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره.

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء والحنان.... إلى التي صبرت على كل شيء.... التي رعتني حق الرعاية وكانت سندي في الشدائد..... وكانت دعواتها لي بالتوفيق..... تتبعني خطوة خطوة في عملي.....

إلى من ارتحت كلما تذكرت ابتسامها في وجهي نبع الحنان أمي أعز ملاك على القلب والعين جزاها الله عني خير الجزاء في الدارين.

إليهما أهدي هذا العمل المتواضع لكي أدخل على قلبهما شيئا من السعادة.

إلى جدي أطال الله عمره.

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله.... إلى من شاركوني ذكريات طفولتي وأحلام شبابي .....

إلى من لو تحدثت عن نعيم الحياة فسأبدأ بهم .... إلى الأمن والأمان

إخوتي "محمد وعلي"

إلى النور الذي يضيء حياتي ...والنبع الذي أرتوي منه حبا وحنانا....

أخواتي" منى وزهرة"

إلى زوجة أخي "إيمان"

إلى بسمة حياتي ... إلى من لا تحلو الحياة إلى بهم ... إلى القلوب الصافية....

إلى الروح النقية " ميساء، نور الشمس، لؤي، مروة، ماريا، بسمة"

إلى من تقاسمنا أجمل الأيام... إلى من تلحوا بالإيخاء... إلى صديقاتي" نعيمة، نورة، نادية..."

إلى كل من أحب أهدي عملي هذا

فاطمة

إهـــــــداء

إلهي يا من خلقتني من نطفة .... وأغدقتني بالنعم... يا من رحمته تلفني.... يا من لا تحلوا حياتي إلا بذكره.... ولا تطيب أيامي إلا بالوقوف بين يديه... ولا يهنئ الفؤاد إلا بحبه... إلهي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .... لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا....

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة.... إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.....

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقسني قطرة حب.. من كلت أنامله ليقدم لي لحظة سعادة ... الذي حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم... إلى القلب الكبير.....

والدي العزيز

إلى رفيقة دربه ..... إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني .... إلى بسمة الحياة وسر الوجود.... إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي ....

أمي الحبيبة

إلى من لا تكتمل سعادتي إلا بهم إخوتي الأعزاء: " عبد الغاني، سمير، سيق الدين"

إلى التي لم تنجب أمي غيرها شقيقة.... إلى هدية أخرى من هدايا الجليل....

إلى توأم روحي أختي "ابتسام"

إلى شقيقات لسن من رحم أمي إنما من رحم الحياة..

فأنتن كاللؤلؤ في حياتي "سهام، أميرة، آية"

إلى من جمعتني بهم الأيام بالحب والوفاء صديقاتي "فاطيمة، نورة، نادية، إيمان"

إلى كل من أحببتهم ولم تسع ورقتي ذكرهم، ولن ينسى قلمي رسمهم، ولكن في القلب يبقى حبهم.

مقدمة

الفصل الأول : الاستشراق

*المبحث الأول:الاستشراق مفهومه، تاريخه وعلاقته بالتبشير والاستعمار.

*المبحث الثاني: دوافع الاستشراق وأهدافه.

* المبحث الثالث: وسائل الاستشراق وتصنيف المستشرقين.

الفصل الثاني: فضل المستشرقين على الحضارة العربية

*المبحث الأول: مفهوم الحضارة مظاهرها وخصائصها

*المبحث الثاني : الاستشراق ونظرته إلى الحضارة العربية الإسلامية.

*المبحث الثالث: مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية.

الفصل الثالث: فضل العرب على أوروبا (زيغريد هونكه)

*المبحث الأول:الرؤية الإستشراقية لزيغريد هونكه.

* المبحث الثاني: فاعلية الحوار الحضاري بين الأوروبيين والعرب.

*المبحث الثالث: زيغريد هونكه وهمها الفكري الداعي إلى خدمة الحضارة العربية

خاتمة

ملحق

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد الأمين صلى الله عليه وعلى آله وعلى أصحابه المهتدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحمد الله حمدا كثيرا مباركا على عونه ورعايته ونسأله التوفيق والسداد من عنده آمين.

أما بعد، فمنذ أن بزغ فجر الحضارة الإسلامية أُنشئت المدارس في مختلف البلاد، شرقا وغربا وكثرت المكتبات وامتلأت بالمؤلفات في مختلف العلوم ، واجتذبت هذه المدارس والمكتبات الباحثين عن المعرفة من العالم الغربي المسيحي، الذين اخذوا ينهلون من معاهد الإسلام واقبلوا على تعلم لغة العرب ومعرفة عقيدة هذا الدين الجديد الذي ساد الأرض شرقها وغربها، ومن هنا نشأت حركة فيما بعد عرفت بالاستشراق والتي ولدت بسبب حيرة الرجل الغربي اتجاه العالم العربي وإحساسه الداخلي بالرغبة في مقاومة التوسع الإسلامي، الذي عبر إلى أوروبا وسيطر على جزء كبير منها.

فقد كان من نتائج اصطراع الشرق والغرب أن صار الأوروبيون يشعرون بمذلة الخضوع للحضارة العربية، فاخذوا ينكرون فضل العرب على أوروبا، وحاول الكثير من العرب طمس معالم الحضارة الإسلامية ولكن يأبى الله إلا ينصر الحق في كل زمان ومكان، فنجد المنصفين منهم يخرجون كل فترات متتالية لينصفوا هذا الدين وتلك الحضارة التي جابت ربوع الأرض من أقصاها إلى أقصاها، ومن المستشرقين الذين أنصفوا الحضارة الإسلامية المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه التي اتسمت كتاباتها بالإنصاف، وذلك بإبرازها تأثير الحضارة العربية على الغرب في مؤلفها الشهير" شمس العرب تسطع على الغرب".

وبهذا لا يزال البحث مستمرا في علاقتنا بالغرب في ثنائية الأنا والآخر محاولا ردم الهوة أحيانا بيننا نحن العرب والغرب، وحينا آخر محاولا التحرر من هذه التبعية التاريخية المتراكمة منذ مئات السنين، وبالتالي يظهر لنا مدى حساسية موضوع الاستشراق بالنسبة لنا نحن العرب، فلا بد من القول أن البحث في مجال الاستشراق سواء كان تاريخيا أو سياسيا أو معرفيا يشبه المغامرة في نصبها ومتعتها، وقد ارتأينا أن يكون موضوع رسالتنا هذه مزيجا بين الاستشراق وجهود المستشرقين في الحضارة العربية "زيغريد هونكه" أنموذجا.

وقد دفعتنا أسباب كثيرة لاختيار هذا الموضوع، لعل على رأسها جاذبيته وإغراؤه، فهو موضوع جدي وقوي وله جذور تمتد منذ مئات السنين في تاريخ العلاقة بين العالم الغربي والعالم العربي الإسلامي، علاقة لطالما اتسمت بأحكام سبقية وآراء متطرفة حينا ومنصفة حينا آخر ، أضف إلى ذلك أننا نبحث عن مناطق الالتقاء والتفرق بين حضارتين، أمتين وثقافتين مختلفتين في الأصول والعادات والثوابت من جهة، ومن جهة أخرى يبن فضل إحدى الحضارتين على الأخرى، ودورها في رقي وازدهار تلك الحضارة ألا وهو فضل الحضارة العربية الإسلامية على الحضارة الغربية.

ومن الأسباب الأخرى المهمة جدة الموضوع وقلة البحث فيه من هذه الزاوية فقد تجد بحوثا كثيرة حول الاستشراق وعلاقته بالتبشير والاستعمار وغيرها، كما نجد بحوثا تتحدث عن الاستشراق والحضارة العربية لكننا لا نجد ربطا بين الموضوعين، وكأن لا علاقة بينهما، وهو رأي يطرحه جانب عريض من الباحثين إذ قد يتساءل سائل عن علاقة الاستشراق بالحضارة العربية.

كما أننا لم نجد من سبقنا من الباحثين بإفراد الموضوع كرسالة جامعية فيما أعلم، فالدراسات السابقة اختصت في جزء فقط من الحضارة العربية الإسلامية منها المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، وجهود المستشرقين الفرنسيين في الدراسات اللهجية في الجزائر المجلة الإفريقية نموذجا.

فما هي الحضارة العربية؟ ما خصائصها؟ وما هي أهداف الاستشراق؟ كيف درس المستشرقون الحضارة العربية؟ ما هي المناهج التي اتبعوها في دراساتهم؟ وما هو رأيهم اتجاهها؟ ما هي نظرة المتسشرقين للحضارة العربية؟ لماذا أنكر بعض المستشرقين فضل الحضارة العربية على الغرب؟ وغيرها من الأسئلة.

وقد اعتمدنا على المنهج التحليلي الوصفي سبيلا ومنهجا في هذه الدراسة، لأنه حسب رأينا الأنسب لسير أغوار الموضوع المطروح في يسر وتؤدة، كما يتيح لنا التمكن من مفاتيحه وبالتالي التعامل معه بموضوعية دون تفريط أو إفراط.

كما قسمنا رسالتنا هذه إلى مقدمة وثلاثة فصول، خاتمة وملحق، ففي الفصل الأول بحثنا عن موضوع الاستشراق عامة ، تعريفه، نشأته، أهدافه ودوافعه.....

أما الفصل الثاني كان عن فضل المستشرقين على الحضارة العربية تناولنا فيه مفهوم الحضارة وخصائصها، الاستشراق ونظرته إلى الحضارة العربية الإسلامية، والمناهج التي اتبعها المستشرقون في دراستهم للحضارة العربية.

وفي الفصل الثالث بحثنا عن فضل العرب على أوروبا زيغريد هونكه تناولنا من خلاله الرؤية الاستشراقية لزيغريد هونكه، فاعلية الحوار الحضاري بين الأوروبيين والعرب، زيغريد هونكه وهمها الفكري الداعي إلى خدمة الحضارة العربية، بالإضافة إلى ملحق عرفنا من خلاله بالمستشرقة زيغريد هونكه.

كما واجهتنا مجموعة من الصعوبات في هذا البحث أهمها قلة الدراسات و التآليف التي تتناول الموضوع المدروس، والذي هو علاقة الاستشراق بالحضارة العربية، ومن بين أهم المصادر التي اعتمدناها في بحثنا كتاب فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر لأحمد سمايلوفيتش، وكتاب الاستشراق والمستشرقون –مالهم وما عليهم– لمؤلفه مصطفى السباعي.

في آخر البحث كانت الخاتمة تتويجا للبحث واستخلاصا للنتائج المهمة التي توصلنا إليها في تسجيل تحليلي خاضع لقراءة متواصلة لكل ما سبق ذكره في المتن الرئيسي.

وفي الأخير نتقدم بالشكر للمولى عز وجل الذي أعاننا على إتمام هذا البحث، ثم الأستاذ المشرف الدكتور"فتح الله محمد" الذي قدم لنا كل التوجيهات والملاحظات اللازمة وأرشدنا إلى الطريق القويم، وكل من كانت له يد العون في إتمام هذا البحث وشكرا.

تيسمسيلت في: 27-05-2018

– قناوي فاطيمة

– كرنافية نعيمة

يعد موضوع الاستشراق موضوعا واسعا ومتشعبا يتناول كل ما له علاقة بالشرق من حيث اللغة والأدب والتاريخ والدين والحضارة وما إلى ذلك، فما هو الاستشراق، ومتى نشأ، وما هي أسبابه ودوافعه؟

المبحث الأول:الاستشراق مفهومه، تاريخه وعلاقته بالتبشير والاستعمار.

مفهوم الاستشراق

الاستشراق مفهوم غير واضح المعالم لدى المفكرين العرب والمسلمين، وتعتمد قوة الحديث عنه على منطلقات المتحدث، ونجد أن المنطلقات متعددة متفاوتة.[1]

يختلف الباحثون كثيرا في المراد من مصطلح الاستشراق، فالبعض يرى أنه ميدان علمي من ميادين الدراسة والبحث، بينما يتجه آخرون إلى اعتباره مؤسسة غربية ذات أهداف متعددة، في حين يرى بعض الباحثين أنه ظاهرة طبيعية تولدت عن حركة الصراع بين الشرق والغرب.[2]

1- المفهوم اللغوي

جاء في معجم مقاييس اللغة :

شرق: الشين والراء والقاف أصل واحد يدل على إضاءةٍ وفتحٍ، ومن ذلك شَرَقَتْ الشمْسُ إذا طلعت، وأشْرَقَتْ إذا أضاءَتْ.[3]

---

[1]- علي إبراهيم النملة، **الاستشراق في الأدبيات العربية عرض للنظرات وحضرو راقي للمكتوب**،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، د.ب، ط1، 1993، ص13.

[2]- ينظر: محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق **أهدافه ووسائله –دراسة تطبيقية جول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون–** توزيع دار قتيبة، د.ب، ط1، 1998، ص15.

[3]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الأول، 2008، ص649.

وجاء في لسان العرب : أن كلمة إستشراق تعني: **شَرَقَ**:شَرَقَتْ الشَمْسُ تَشْرُقُ شُرُوقًا وشَرْقًا: طلعت، و اسم الموضوع المَشْرِقَ ولكنه أحد ما ندر من هذا القبيل، وفي حديث ابن عباس: نهي عن الصلاة بعد صلاة الصبح حتى تشرق الشمس. يقال :شرقَتْ الشمسُ إذا طلعت، وأشْرَقَتْ إذا أضاءت. [1]
كما جاء في معجم الوسيط أن كلمة "الاستشراق" مشتقة من مادة "شرق" يقال:"شَرَقَتْ الشمس شَرْقًا وشُروقًا إذا طلعت."[2]

وشَرَقَ: أخذ في ناحية المشرق، والشرق: الشمس وجهة شروق الشمس، وشجرة شرقية تطلع عليها الشمس من شروقها إلى نصف النهار.[3]

وجاء في قاموس المنجد :"تشَرَقَ: صار مُسْتَشْرِقًا:تَشَرَقَ أوروبي، و استشرقَ صار مُسْتَشْرِقًا، اهتم بالدراسات الشرقية." [4]

2- المفهوم الاصطلاحي

يراد بالاستشراق دراسة علوم الشرق، وأحواله وتاريخه، ومعتقداته وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية، ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمة الشخصية في كل مجتمع شرقي، فلكل أمة مشخصاتها، ودراسة الأشخاص والهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية في شتى صورها وأنواعها .[5]

---

[1] – ابن منظور، **لسان العرب**، المجلد الثامن، دار صادر، بيروت، ط1، ص64 .

[2] – معجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1960، ص482

[3] – إسماعيل علي محمد، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل**، مدخل علمي لدراسة الاستشراق، د.ب، ط3، 2000، ص9.

[4] – المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط2، 2001، ص764.

[5] – عبد المتعال محمد الجبري، **الاستشراق وجه الاستعمار الفكري**، مكتبة وهبة، د.ب، ط1، 1995، ص13.

وقد عرف المستشرق الألماني بارث الاستشراق فقال: علم يختص بفقه اللغة خاصة واقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه، كلمة إستشراق مشتقة من كلمة «شرق»، وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي.[1]

ويرى بارث أن لفظة الشرق تختلف باختلاف الموقع الجغرافي، وينتهي إلى أن اسم الاستشراق يختص بالبلدان الشرقية دون غيرها.[2]

ويقرر إسحاق موسى الحسيني أن«لفظة "إستشراق" ومشتقاتها مولدة، استعملها المحدثون من ترجمة كلمة Orientalisme ثم استعملوا من الاسم فعلا، فقالوا استشرق: وليس في اللغات الأجنبية فعل مرادف للفعل العربي، والمدققون يؤثرون استعمال "علماء المشرقيات" بدلا من "مستشرقين" ويؤثرون استعمال "عرباني" لدارس العربية مقابلة للفظة Arabist ولكن لفظة "إستشراق" ولفظة "مستشرق" قد شاعتا شيوعا كبيرا.»[3]

ويقول أحمد حسن الزيات:«يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره، ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لصلاتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدينة والعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه يعمه في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح.»[4]

---

[1] – رودي بارت، **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**، تر:مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2011، ص17

[2] – محمود ماضي، **الوحي القرآني في منظور الاستشراق ونقده**، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، د.ب، ط1، 1996،ص13

[3] –أحمد سمايلوفيتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، دار الفكر العربي، د.ب، د.ط، 1998، ص30

[4] – أحمد حسن الزيات، **تاريخ الأدب العربي**، دار النهضة مصر للطباعة والنشر–القاهرة–، ص512

أما إدوارد سعيد فيضع مفهوما آخر للاستشراق فينظر إليه نظرة شمولية فالاستشراق:«ليس مجرد موضوع أو ميدان سياسي ينعكس بصورة سلبية في الثقافة، والبحث، والمؤسسات، كما أنه ليس مجموعة كبيرة ومنتشرة من النصوص حول الشرق، كما أنه ليس معبرا عنه وممثلا لمؤامرة إمبريالية غربية شنيعة لإبقاء العالم الشرقي حيث هو بل إنه بالأحرى، توزيع للوعي الجغراسي "أي الجغرافي السياسي" إلى نصوص جمالية، وبحثية واقتصادية، واجتماعية، وتاريخية، وفقه اللغة ....»[1]

ويعرف يوسف أسعد داغر في الاستشراق قائلا:«هو حركة علمية عنيت ولا تزال تعني بدراسة المدنيات الشرقية: ما غبر منها وما حضر، وما طمس ذكره منها وما استقروا بما خلفته تلك الحضارات من قوى روحية وآثار فكرية وأدبية وفنية ودينية، وبما يتصل بهذه الحضارات القديمة، وبما فيها من شعوب وأجناس ومذاهب ومدارس، وما إلى ذلك كله من أثر ظاهر ناطق شاهد على الحياة البشرية الحضرية وهو خليق بأن تحييه نشرا وطباعة.»[2]

فالاستشراق إذا ليس محصورا في الجوانب الأكاديمية في جامعات الغرب، أو في الجوانب الفكر والأدب والشعر والاستشراق لا يمثل أرادة المستعمر، بل هو هذه الإرادة، ولما كان الفكر يسبق العمل، كان النظر إلى الاستشراق بمعزل عن السياسة، أقصد بمعزل عن قوى الاستعمار يعد خطأ كبيرا.[3]

من خلال هذه التعريفات نستنتج أن الاستشراق قوة سياسية وعقائدية، واجتماعية، وعسكرية، وثقافية، وعلمية، وتخيلية.....

أما المستشرقون فهم الذين يقومون بالدراسات الشرقية (فكل من يقوم بتدريس أحوال الشرق أو الكتابة عنهُ أو بحثهُ . ويسري ذلك سواء أكان المرء مختصاً بعلم الإنسان أو بعلم الاجتماع، أو

---

[1]- إدوارد سعيد، **الاستشراق (المعرفة–السلطة–الإنشاء)**، تر:كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981، ص.ص 46-47.

[2]- أحمد سمايلوفيتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ص30 .

[3] - محمود ماضي ، **الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده** ، ص.ص15-16 .

مؤرخاً، أو فقيه (الفيلوجيا) في جوانبه المحددة والعامة على حدٍ سواء ، هو مستشرق وما يقوم بفعلهِ هو إستشراق.[1]

وهناك من يعرفهم بأنهم الكُتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية.[2]

ومنهم من يطلق على المستشرقين اسم (المستعربين) مع إنه لا يصح تعميم هذا الإطلاق إذ ليس كل مستشرق مستعرباً، فالمستشرق أعم من المستعرب، فكل مستعرب مستشرق وليس كل مستشرق مستعرب حتى يصبح حمل كل واحد منهما على الآخر واستعمال كل منهما مكان الآخر وقد عرفهم بعض الباحثين بأنهم جماعةً من الكتاب والمؤرخين الأجانب الذين خصصوا جزءاً كبيراً من حياتهم لدراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والاجتماعية للشرق الإسلامي فصار من الضروري على هؤلاء أن يتعلموا اللغات الأصلية لهذا الجزء من العالم[3]، ولا يمكن أن يتصور أن كل مؤرخ أوربي مستشرق، وإنما يقتصر اسم المستشرق على كل من أهتم بتراث الشرق حتى وإن لم يعرف لغته.[4]

تاريخ الاستشراق

لا يمكن التعرف بدقة إلى البداية الحقيقية والمنظمة للاستشراق، ذلك لأنه حركة نشأت بجهود عفوية ثم ما لبثت أن تطورت لتكون حركة منظمة لها روادها ومؤسساتها المختلفة، والباحثون يختلفون كثيرا في تحديد تاريخ معين لظهور الاستشراق نتيجة الاختلاف المراد منه، فرده بعضهم إلى فترة ما

[1] -إدوارد سعيد، **الاستشراق (المعرفة–السلطة–الإنشاء)**،ص 38.

[2] – مالك بن نبي، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، مطبعة دار البيان، القاهرة، د.ط، د.ت، ص7.

[3] – د.عبد الجبار ناجي، **تطور الاستشراق**، دار الجاحظ للنشر، بغداد، د.ط، 1981، ص23.

[4] – المصدر نفسه، ص25.

قبل الميلاد، وتطرق آخرون ليردوا نشأته إلى حملة نابليون على مصر متناسين كل ما سبقها من جهود عربية لفهم الشرق والتعرف عليه.[1]

يقول مصطفى السباعي:«لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات».[2]

ويذهب الأب لامنس إلى أن الأحبار الرومانيين قرروا دراسة اللغة العربية وآدابها في مدارسهم منذ القرن الثالث عشر، غير أن هذا القرار لم ينفذ إلا فترة قصيرة من الزمان وفي عام 1519م دعا ملك فرنسا فرنسيس الأول الأستاذ بوليس يوستينيا لتدريس العربية والعبرية في عاصمة مملكته... ويؤكد لامنس أن بقية الدول الأوروبية كانت تجهل علم العربية في بداية القرن السادس عشر حتى في الأندلس نفسها ويبرر حكمه فيما يتعلق بإسبانيا قائلا: «لم يبق فيها سوى آثار قليلة من لغة كان قد علا منارها في عهد الخلافة الأموية نحو من سبعمائة سنة».[3]

ويقول المؤرخ الإنجليزي ملر في كتابه فلسفة التاريخ: إن مدارس العرب في إسبانيا كانت هي مصادر العلوم، وكان الطلاب الأوروبيون يهرعون إلها من كل قطر يتلقون فيها العلوم الطبيعية والرياضية وما وراء الطبيعة، وكذلك أصبح جنوبيّ إيطاليا منذ احتله العرب واسطة لنقل الثقافة

[1] – ينظر: فتح الله الزيادي، **الاستشراق أهدافه ووسائله–دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون**، ص.ص23-24.

[2] – مصطفى السباعي ، **الاستشراق والمستشرقون –مالهم وما عليهم–** ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1979، ص.ص13-14.

[3] – د.أحمد سمايلوفيتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ص57.

إلى أوروبا، وممن ورد تلك المناهل الراهب جربرت الفرنسي، كذلك تخرج على علماء قرطبة (شانجة) ملك ليون وأستوريا، وأولع بعض علماء إيطاليا بالعربية، وعدوها لغة الأدب العالي.[1]

ويعيد جورجي زيدان بداية الاستشراق إلى القرن العاشر الميلادي إذ أراد الإفرنج الإطلاع على ما في اللغة العربية من العلوم الطبيعية والفلسفية والطبية ونقلو كثيرا منها إلى اللاتينية ومن أوائل المترجمين أو الناقلين هو البابا سلفستر الثاني الذي عاش في القرن العاشر الميلادي، وتلاه هرمان المتوفى عام
1054م وجاء بعده قسطنطين الإفريقي وغيرهم.[2]

ويحاول أسعد داغر أن يثبت أن الاستشراق نشأ منذ القرن العاشر الميلادي «يوم كان الشرق العربي الإسلامي مباءة العلم ومنتدى الآداب، وحين كانت قواعد الأندلس وحواضرها الكبرى مثوى للثقافة و منائر للمعرفة بما فيها من خزائن الكتب والجامعات والمدارس العليا يفد إليها الطلاب من فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإنجلترا للدرس والتحصيل، ونشطت هجرتهم إلى الأندلس في القرن الثاني عشر خاصة ونقل حينذاك قدر كبير من أثار مفكري العرب وأطبائهم من أمثال الرازي والفرابي وابن سينا وغيرهم.»[3]

أما الذين يحاولون تحديد نشأة الاستشراق تحديدا علميا قائما على واقعة علمية يعودون بنشأة الاستشراق إلى سنة 712هـ (1311-1312) حينما عقد مؤتمر مجمع فيينا الكنسي ونادي بإنشاء كراسي للعبرية والعربية والسريالية في روما على نفقة الفاتيكان، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي أكسفورد على نفقة ملك إنجلترا، وفي بولونيا على نفقة رجال الدين فيها، وتم إنشاء الكراسي

[1] - إسماعيل علي محمد، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل-مدخل علمي لدراسة الاستشراق-** ص17.

[2] - جورجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية** ، ج4، دار الهلال، القاهرة، 1911، ص 144.

[3] -أحمد سمايلوفيتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ص.ص55-56.

ونشطت الدراسات الاستشراقية، فدرست العربية وعلوم المسلمين، وترجمت الكتب من العربية إلى اللاتينية ترجمة علمية وثيقة.[1]

كما أن هناك بعض الباحثين يرجع نشأة الاستشراق إلى القرن الثامن عشر، متخذا من حملة نابليون على مصر نقطة انطلاق الحركة الاستشراقية، وعلى الرغم من أن هذه الحركة حملة عسكرية ألا أن اصطحاب نابليون معه مطبعة وعددا من العلماء والباحثين هو الذي دفع إلى القول بأنها بداية الاستشراق.[2]

وإذا كانت الآراء حول نشأة الاستشراق وبدايته محل أخذ ورد، أو قبول ورفض، فإنه يمكننا أن نقرر مطمئنين أن ظهور الاستشراق لم يتأخر عن القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) إذ كان النشاط العلمي للمسلمين في الأندلس إبان فتحهم لها مصدر ولادة الاستشراق، وسبب انطلاقته. وهكذا نرى أن الاستشراق قد ظهر إلى الوجود منذ ذلك التاريخ القديم.[3]

علاقة الاستشراق بالتبشير والاستعمار

أ- الاستشراق والتبشير

التبشير تعبير أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومون بها لتنصير الشعوب غير النصرانية، ولاسيما المسلمون، ثم تحول هدف التبشير داخل الشعوب المسلمة إلى غاية التكسير، وإخراج المسلمين عن دينهم، ولو إلى الإلحاد والكفر بكل دين.[4]

---

[1] - علي إبراهيم النملة، **الاستشراق في الأدبيات العربية عرض للنظرات وحضر وراقي للمكتوب** ، ص29.

[2] -محمد فتح الله الزيادي ، **الاستشراق أهدافه ووسائله-دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون** -، ص25.

[3] -إسماعيل علي محمد، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل -مدخل علمي لدراسة الاستشراق-**، ص 19.

[4] - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **أجنحة المكر الثلاثة و خوافيها -التبشير و الاستشراق والاستعمار**-،دار القلم، دمشق، ط8، 2000، ص53.

بعد الحروب الصليبية جعل مخططو قوى الغرب المتكتلة يفكرون في كيفية مواجهة الإيديولوجية الإسلامية الصاعدة وكان من بين الخطط أن يعمل المبشرون بكل الوسائل للتشهير بالدين الإسلامي وإظهاره برغم وحدانيته في صورة أدنى إلى الغريزة البشرية وأنه يصلح لإشباع النزعات الدينية السطحية دون التعمق وتهذيب الروح والخلق وزعموا أنه دين يدعوا إلى الخمول والكسل والاستسلام لأحكام وتصرفات القدر، وقد عاون المستشرقون فيما بعد على تثبيت وتأكيد هذه الاتهامات، وتوسعوا فيها وتخصص كل فريق منهم في بعضها ثم روجوها في مؤلفاتهم ودراساتهم على الرغم من معرفتهم أنها بعيدة كل البعد عن العلمية والموضوعية، وأنها لا تعدوا أن تكون دسائس مغرضة وإشاعات ملفقة لمحاربة الإسلام وتشويه مفاهيمه، فالاستشراق والتبشير عدو واحد له هدف واحد يسعى ليدركه وهو تشويه الإسلام ليصل من وراء ذلك إلى تمزيق المسلمين وإشاعة البلبة في أفكارهم وبين صفوفهم.[1]

ولهذا نجدهما يشيدان لإسهاب الخصومات ويشيدان النظريات العنصرية والطائفية في الشرق الإسلامي ويحييان اللغات الميتة للأقوام البائدة، لتنشأ في العالم الإسلامي طوائف متناحرة متخاصمة ليصفو له الجو ويهيمن على العالم الإسلامي هيمنة لا يستطيع أي بلد إسلامي أن يدفع عن نفسه غائلة الاستعمار وقيوده إلا بعد جهاد طويل.[2]

ويمكن أن نلخص أوجه الالتقاء بين الاستشراق والتبشير في النقاط التالية:

أولا: كان رجال التبشير قدوة للمستشرقين الذين جاءوا من بعدهم والدليل على ذلك ما قام به القديس "يحنى الدمشقي"، حث وضع كتاب سماه "حياة محمد" بين فيه أن الإسلام فرقة مسيحية مارقة، فظهرت على عهد الإمبراطور الروماني "هرقل" بفعل متنبأ من العرب يدعى حامد "محمد" فإن حامدا هذا كان قد اطلع على كتابي العهد القديم والجديد...

[1] – أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص127.

[2] – عبد القاهر عبد الواحد، **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، د.ب، ط1، 2001، ص 30.

ثانيا: استدلال المبشرين بالإسرائيليات، حتى إذا رأوا الفرصة مواتية دسوا ما يريدون دسه على الإسلام وكان أول من استدل بالإسرائيليات المبشر يحي، ثم انتقلت أباطيله من بعده إلى رجال الاستشراق، الذين ساروا على نهجه.

ثالثا: عمل المستشرقون بوصية القديس التاسع، التي دعا فيها إلى ضرورة تكتل الأوروبيين لتشويه الإسلام، وإفساد عقيدة المسلمين التي هي سر قوتهم وأنه لا غنى للأوروبيين عن هذا الغزو الفكري إذا ما أرادوا التغلب على المسلمين الذين لا سبيل إلى التغلب عليهم عن طريق القوة العسكرية.

رابعا: لم يكن عمل المستشرقين منفصلا عن عمل المبشرين فالاستشراق في نشأته ما هو إلا أداة من أدوات التبشير وكان غرضهم واحد ألا وهو تشويه صورة الإسلام والطعن في مصادره والحيلولة دون وحدة المسلمين في إثارة الفتن بينهم....[1]

إن المستشرقين والمبشرين لجأوا إلى تشويه المفاهيم الإسلامية بكل وسيلة وإلقاء التهم الباطلة في ساحاتهم من أجل إبعادهم عن عقيدتهم الإسلامية وكلاهما يسيران في اتجاه واحد ألا وهو الاستعمار.

ب- علاقة الاستشراق بالاستعمار

الاستعمار تعبير أطلق على استيلاء شعب بالقوة العسكرية على شعب آخر، لنهب ثرواته، واستغلال أرضه، وتسخير طاقات أفراده لمصالح المستعمرين.

ويرافق ذلك اتخاذ مخططات تحويل هذا الشعب عن دينه، ومفاهيمه، ومبادئه، وأخلاقه، وسلوكه الفردي والاجتماعي إلى ما عليه دولة الشعب الغالب المستعمر، من مبادئ ونظم وعادات، إذ كان الغالب والمغلوب تباين في ذلك.[2]

---

[1] - ينظر: محمد أمين حسن محمد بني عامر، **المستشرقون والقرآن الكريم**، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004، ص.ص 42-44.

2 - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **أجنحة المكر الثلاثة و خوافيها –التبشير و الاستشراق والاستعمار–**، ص 54.

منذ أواخر القرن العاشر الميلادي حتى الآن تعرض العالم العربي لهجمات الغرب المتواصلة التي استهدفت احتلال أراضيه، واستغلال مقدراته واستعباد شعوبه وقد كانت البداية تلك الحروب الصليبية التي أخذت من الدين ستارا لأعمالها الهدامة وعندما خرجت قواها المتكتلة مقهورة قامت متأثرة بما رأت في الشرق الإسلامي وأخذت عنه مقومات النهضة العلمية الحديثة وشرعت تستعد لهجمات جديدة أبعد وأشد ضررا من حرب الحديد والنار، حرب شعارها: "مدرسة أو مستشفى أو ملجأ، أو كتاب، أو مقال أو ما إلى ذلك من خداع العناوين التي يقطر باطنها بالسم الناقع، واستعدادا لذلك كان لا بد من أن تحول طلائع الغرب في البلاد التي يجب قهرها واحتلالها وأن تكون هذه الطلائع من الذين تعلموا اللغة العربية وغيرها من لغات الشرق لكي يستطيعوا التحدث إلى الشعوب، والبحث في الآثار والتعرف على الأفكار والقيام بالدعايات وإثارة المنازعات وإشعال الخلافات حتى تقع البلاد فريسة بين مخالب اللاستعمار."[1]

ومن أجل هذا كان الوفاق بين الاستشراق والاستعمار تاما يساعد أحدهما الآخر مساعدة فعالة، وتتبين مظاهر الصلة بينهما فيما يلي:

أولا: تأسيس الكليات المتعددة لتدريس اللغات الشرقية في عواصم أوروبة مثل لندن وباريس وليدن وبرلين وغيرها، وظهرت فيها أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية، وكان الغرض منها تزويد السلطات اللاستعمارية لخبراء في الشؤون الإسلامية وقد عمل التحاق الطلاب المسلمين بهذه الكليات على تأثير أفكارهم بما يلقيه المستشرقون في أذانهم.

ثانيا: تأسيس المؤسسات العلمية في البلاد الإسلامية والتي تخضع لنفوذ المستشرقين في الظاهر وهي في حقيقتها تعمل على خدمة الاستعمار والتبشير مثل المعهد الفرنسي في مصر والجمعية الأمريكية في لبنان...

[1] – أحمد سمايلوفيتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ص.ص119-120.

ثالثا: وأوضح دليل على صلة الاستشراق بالاستعمار أنه لا تكاد توجد سفارة من سفرات الدول الاستعمارية في دولة من دول الشرق الإسلامية إلا ويوجد فيها مستشرق أيا كانت رتبته بين رجال السفارة والعاملين بها.

رابعا: اتفاق الاستشراق مع الاستعمار على حرب الإسلام ودعوته إلى استعمال كل الأسلحة لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه، وتمكين سلطاته في بلاد المسلمين، فمن أجل ذلك نشأت رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والاستعمار.[1]

ومن خلال هذه الأدلة يتبين أن المستشرقين هم عيون الغرب في الشرق وعلى رأسهم المستشرق أرنيست رينان الذي كان يعمل مخططا لاستعمار الفرنسي.

[1] – ينظر: محمد أمين حسن محمد بني عامر، **المستشرقون والقرآن الكريم**، ص.ص51-53.

المبحث الثاني: دوافع الاستشراق وأهدافه.

دوافع الاستشراق:

1 الدوافع الدينية

هي التي كثيرا ما تحرك الإنسان وتدفعه إلى الأمام، إن لم تكن كذلك في جميع الأحيان فالنزعة الدينية تحث صاحبها على الدوام إلى طلب العلا وبلوغ الغايات السامية وهي ترسم معالم حياته وتتحكم في تصرفاته، وإذا كان الفلاسفة وعلماء الاجتماع لم يحددوا بعد دور الدين في التحولات التاريخية تحديدا كاملا فمن المؤكد أن الدوافع الدينية قد لعبت دورا خطيرا في نشأة الاستشراق وميلاد فلسفته واتجاهاتها.[1]

وقد بدأ مع الرهبان . وهؤلاء كان همهم أن يطعنوا في الإسلام وشوّهوا محاسنه ويحرّفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام. دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي. ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة.[2]

ومن هنا يتبين أن الدوافع الدينية بكل ما فيها من قوة واندفاع كانت إحدى الأسباب الرئيسة لتعلم الغرب اللغات الشرقية عامة ولغة الإسلام خاصة وظلت هذه اللغة بيت القصيد في نشاط الرهبان لأسباب الدفاع والهجوم و الاحتلال والاستغلال والحرب والسلام، والتبشير والاستعمار ومحاولة تعميد أهل القرآن ....

---

[1]- د.أحمد سمايلوفيتش ، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ص 48.

[2]- مصطفى السباعي ، **الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)** ، ص16 .

وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانا ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العبرية، ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين فاقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم إعداد الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي.[1]

«ومن المبشرين نفر يشتغلون بالآداب العربية والعلوم الإسلامية، أو يستخدمون غيرهم في سبيل ذلك، ثم يرمون كلهم مما يكتبون إلى أن يوازنوا بين الآداب العربية والآداب الأجنبية، أو بين العلوم الإسلامية والعلوم الغربية... ليخرجوا دائما بتفضيل الآداب الغربية على الآداب العربية الإسلامية، وبالتالي إلى إبراز نواحي النشاط الثقافي في الغرب وتفضيلها على أمثالها في تاريخ العرب والإسلام، وما غايتهم من ذلك إلا خلق تخاذل روحي وشعور بالنقص في نفوس الشرقيين وحملهم من هذا الطريق على الرضا بالخضوع للمدينة المادية الغربية.»[2]

إن هذه الصورة التي رسمتها الأقلام التبشيرية مع بدايات الألف الثانية للميلاد لم تتغير ولم تتبدل عبر القرون بل ظلت تعبر عن موقف خاص تجاه الإسلام وتاريخه تهدف من خلال ترويج تصورات معينة بعضها مشوشة أو مشوهة أو مبالغ فيها أو مستندة على افتراءات ليس لها دليل يسندها.[3]

ومن هنا نستنتج أن رجال الكنيسة هم الذين قادوا حركة الاستشراق قصد النيل من الإسلام وحجب محاسنه عن الشعوب والأمم الأخرى.

2 الدوافع الاستعمارية

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام فاتجهوا إلى دراسة هذه

---

[1]- أحمد سمايلوفتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ص.ص 49-50.

[2]- إسماعيل على محمد، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل –مدخل علمي لدراسة الاستشراق–** ص36

[3]- فاروق عمر فوزي ، **الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)** ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط1، 1998، ص34.

البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من الدوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث، وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا، ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة.[1]

ويعترف الاستعمار نفسه أن أشد ما يخشاه هو الإسلام وانتشاره لأن له قوته وجلاله وأنه الوحيد بين الأديان والذاهب، والإيديولوجيات الذي يستطيع أن يقف في طريق أطماع الغرب وسيطرته على العالم سياسيا وحضاريا ودينيا وفكريا ومن هنا تبرز لنا غايته وهدفه من الاستشراق، وكان لابد للغرب المستعمر من معرفة ما يمكنه معرفته من أحوال هذا الشرق ومداخل السيطرة عليه والاستبداد به.[2]

وفي إطار تأكيد الدافع الاستعماري نذكر ذلك النوع من الدراسات الاستشراقية التي ركزت على ما يسمى بالفرق الإسلامية والتي شغلت حيزا كبيرا من نشاط المستشرقين ولم يكن لها بالمقابل أي دراسة تستهدف البحث في الإسلام الموحد الذي جسده عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ويضاف إلى ذلك دراسات أخرى استهدفت التركيز على إثارة نعرات طائفية والحزبية والمذهبية ومحاولة تجذيرها، ولا شك في أن هذه الدراسات كانت عاملا مهما ساعد الاستعمار الغربي في استخدام سياسة (فرق تسد) وبالتالي إحكام قبضته على مناطق العالم الشرقي.[3]

---

[1]– مصطفى السباعي، **الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)**، ص17.

[2]– أحمد سمايلوفيتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ص50.

[3] – محمد فتح الله الزيادي ، **الاستشراق أهدافه ووسائله–دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون –**، ص44

لقد أسهمت الدراسات الاستشراقية بالنصيب الوافر والجهد الواسع في تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، ومحاولة تهيئة الأجواء والنفوس لقبوله والخضوع لولايته، ورأينا كثيرين من المستشرقين ارتضوا أن يسخروا علمهم وإمكاناتهم في سبيل قهر المسلمين وإذلالهم، بدعم الحركة الاستعمارية، فكثير منهم «كانوا سياسيين ينفذون رغبات الاستعمار الغربي، فالمستشرقون(لويس ماسنيون) و (هانوتو) و (دوق دراكو) و (سانت هلير) وغيرهم كانوا أعضاء في المجالس النيابية في بلادهم وكانوا مستشارين لوزرات الخارجية فيها.»[1]

وفي الأخير نستنتج أن الذي دفع إلى استعمار البلدان العربية هو الاستيلاء على خيراتها فبحثوا عن مواطن القوة فيها فأضعفوها، ومواطن الضعف فيها فاستغلوها.

3 الدوافع السياسية

وهناك دافع آخر أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته، وكثيرا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون —ولا يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية– يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، وبين الدول العربية والدول الإسلامية، بحجة النصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماما نفسية كثيرين من المسؤولين في تلك البلاد، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم.[2]

وكمثال على هؤلاء نذكر جون بادو الذي عمل سفيرا لأمريكا في القاهرة، وبرتشرد الإنجليزي الذي عمل قنصلا في تونس، والفرنسي بونيون الذي عمل قنصلا في حلب، والإسباني جونثال الذي

[1] – إسماعيل على محمد، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل —مدخل علمي لدراسة الاستشراق–** ص59.

[2] – مصطفى السباعي ، **الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)** ، ص.ص 18-19.

عمل سفيرا في الباكستان، والإيطالي فيتو الذي عمل قنصلا في بيروت، إلى غير ذلك من الأسماء الكثيرة التي لا تحصى في هذا الميدان.[1]

ثم إن النفسية الأوروبية الكارهة للإسلام والمتخوفة من عودة سلطانة من جديد لم تزل باقية، ولا يزال الغرب يرى في الإسلام عدوا لدودا يهدد حضارته الغربية المادية بقدرته الحيوية على الانتشار والتوسيع، وبما يملكه من نظرة كلية متكاملة للكون والإنسان والحياة، مستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة.و من أجل هذا فهم على يقظة تامة لتحرك المد الإسلامي، ورصد حركته ويعملون بكل السبل لوقف مسيرته ومحاصرته في أقطاره. [2]

بعد فشل الاستعمار في الاستيلاء على البلدان العربية وإخضاعهم لسيطرتهم، بحثوا عن مجال آخر والذي كان الدافع السياسي حيث جعلوا تقريبا في كل بلد عربي سفيرا أو صحفيا.

4 الدوافع العلمية

وهي ذات شأن عظيم في حركة الاستشراق لأن العالم العربي كنز حضاريا لا نظير له في بقاع العالم الأخرى، ففيه شيدت حضارات وثقافات، ونشأت لغات وفلسفات، وولدت علوم وفنون، ونزلت شرائع وأديان، وقد أثارت هذه القيم علماء الغرب فاهتموا بدراستها واكتشاف أسرارها، وتحقيقا لهذه الغايات السامية أيقن الغرب أنه لابد له أولا إذا أراد النهوض أن يدرس لغات الشرق وآدابها وحضاراتها وخصوصا حضارة الإسلام وما حققه هذا الدين ورجاله من أهداف سياسية واجتماعية وأخلاقية وثقافية.[3]

---

[1] – محمد فتح الله الزيادي ، **الاستشراق أهدافه ووسائله–دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون –**، ص46.

[2] – إسماعيل على محمد، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل –مدخل علمي لدراسة الاستشراق**– ص 75.

[3] – أحمد سمايلوفتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ص 51.

ومن المستشرقين نفر قليل جدا أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يعتمدون الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق والى المنهج العلمي السليم.[1]

ولا ريب أن الاستشراق قد أبلى بلاءً حسنا في خدمة الإنسانية بأسرها تأثرا بهذه الدوافع العلمية الكامنة في نفسه والتي كانت إحدى الأسباب الرئيسية لميلاد حركته ونشأة فلسفته، ولكن الفضل يعود أصلا إلى علم العرب وثقافتهم، ويصرح بعض الفرنسيين بذلك فيقول: «إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة بنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا أنه يدين لها بوجوده نفسه... إن ما ندعوه العلم الحديث ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لمنهج التجريب والملاحظة والقياس والتطور والعلوم والرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان وهذه الروح وتلك المناهج أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي.»[2]

وفي الأخير نستنتج أن هذه الدوافع أدت إلى ميلاد الاستشراق والاهتمام به، حيث بدأ العلماء والباحثون وغرهم يتدفقون على الشرق فيدرسون لغاته وآدابه ويشرحون فلسفاته وعيرها من العوامل التي كان لها أثر كبير على الاستشراق.

5 الدوافع التجارية

ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق،رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين.[3]

---

[1] – مصطفى السباعي، **الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)**، ص19

[2] – أحمد سمايلوفتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ص52.

[3] – مصطفى السباعي، **الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)**، ص18.

وتشير الكثير من المصادر أن المستشرقين لهم مساهمات واضحة في مساعدة العالم العربي على رسم سياسة اقتصادية تستهدف استنزاف ثروات الشعوب الشرقية واستمرارية اعتمادها على ما تنتجه المصانع الغربية، فالدراسات الاستشراقية عملت على كشف العقلية الشرقية من جميع جوانبها، الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية، وأبانت عن كل ما يحتاج إليه الشرقي وما يفضله، وكان ذلك سببا في إغراق الأسواق الشرقية بالمنتجات الغربية المصنعة خصيصا لها، وهذا أدى إلى الاعتماد دائما على المستور الغربي دون التفكير في استغلال الموارد والتصنيع المحلي وهكذا تستمر السيطرة الاقتصادية الغربية على شعوب العالم العربي.[1]

عند النظر فيما جاء في تقرير المراجع الأكاديمية المسؤولة في جامعة كمبردج بشأن إنشاء كرسي اللغة العربية فيها، في خطاب مؤرخ في 9مايو 1636م إلى مؤسسي هذا الكرسي حيث أشاروا صراحة إلى خدمة هدفين:

*__اقتصادي__ يكمن في "تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية"،

*__وتبشيري__ يتمثل في "تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة، والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات".[2]

ويتوسع بعض الباحثين في هذه الدوافع رغم اقتناعهم بأن الدوافع السابقة هي الأصل والقوة في حركة الاستشراق، إلا أنهم يضيفون إلها بعض الجوانب الأخرى التي كان لها دور في نشوء اللاستشراق وتطوره نجملها في التالي: 1 الدوافع النفسية، 2 الدوافع التاريخية بإضافة إلى دوافع فكرية إيديولوجية.

[1] – محمد فتح الله الزيادي ، **الاستشراق أهدافه ووسائله–دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون** –، ص54.

[2] – إسماعيل على محمد، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل –مدخل علمي لدراسة الاستشراق**– ص 57.

أهداف الاستشراق

1 الهدف الديني

الهدف الديني للاستشراق من الأهداف الواضحة فقد صاحب الاستشراق طوال مراحل تطوره يقول الدكتور إدوارد سعيد:«إن الاستشراق السامي و الاستشراق الإسلامي لم يكونا قد حررا نفسيهما، إلا درجة ضئيلة جدا، من الخلفية الدينية التي اشتق منها أصلا.»[1]

وبالتالي يمكننا تلخيص غايات الهدف الديني في النقاط التالية:

1-محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه، وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من المسيحية واليهودية، والانتقاص من قيمته والحط من قدر نبيه...إلخ

2- حماية المسيحيين من خطره بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.[2]

3- تشكيك المسلمين في الشريعة الإسلامية وعجزها -في زعمهم- عن مسايرة التطور، فالدراسات الاستشراقية الحديثة تحاول التركيز على أهمية القوانين الوضعية وتطبيقها على المسلمين بدلا من شريعة القرآن.

4- زرع تخاذل روحي وشعور بالنقص في نفوس المسلمين خاصة والشرقيين عامة.[3]

لقد كان للهدف الديني غايات عديدة أهمها محاربة الدين الإسلامي وتشكيك المسلمين في عقيدتهم، كما قاموا بتحذير المسيحيين من هذا الدين عن طريق التهم التي وجهوها للإسلام والمسلمين.

---

[1] - محمود ماضي، **الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده**، ص 16.

[2] - محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص.ص75-76

[3] - محمود ماضي، **الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده**، ص 21.

2 الهدف السياسي

ظهرت تلك الأهداف السياسية واضحة جلية واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، واضطرت الدول الاستعمارية أن تعلم موظفيها في المستعمرات لغات تلك البلاد وأن تدرس لهم آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسون هذه المستعمرات ويحكمونها.[1]

كما أضعفوا روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم، وكذلك يفعلون في البلاد العربية، يجتهدون لمنع اجتماع شملها ووحدة كلمتها بكل ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق، وتصّد الحوادث الفردية في التاريخ ليصنعوا منها تاريخا جديدا يدعوا إلى ما يريدون من منع الوحدة بين البلاد العربية والتفاهم على الحق والخير بين جماهيرها.[2]

والهدف السياسي لم يكن مقتصرا على بسط النفوذ على العالم الإسلامي فحسب، بل إن المستشرقين قد دخلوا في صراع دول أوروبا على منطقة العالم الإسلامي فكانوا أدوات في أيدي حكوماتهم تعينهم على التنافس بين الدول الأوروبية ذاتها ولو أدى إلى استخدام الإسلام والعربية.[3]

إن الهدف السياسي للاستشراق يكمن في إضعاف روح الإيخاء بين المسلمين والعمل فرقتهم، فكانوا يوجهون موظفيهم في هذه المستعمرات لتعلم لغة تلك البلاد واستغلالها في مصالحهم.

---

[1] – محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص 78.

[2] – مصطفى السباعي ، **الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)** ، ص24

[3] – علي بن إبراهيم النملة، **الاستشراق في الأدبيات العربية عرض للنظرات وحضر، وراقي للمكتوب**، ص52.

3 الهدف العلمي

وقد كان مقصد بعض من ظهر في عصر التنوير في أوروبا، فمنهم من قرأ الكتب الدينية وفحصها وأدرك أن رسالة الإسلام قريبة من الرسالات السماوية ومؤيدة لما جاء في كتبها من إيمان بالله وكتبه ورسله ودعوة إلى الحق والخير والصلاح ولكن هؤلاء كانوا قلة.[1]

إذ أنهم أقبلوا على الدراسات العربية والإسلامية بدافع المعرفة الحقة أو البحث عن الحقيقة التي افتقدها الكثير منهم فيما هم عليه من نصرانية، ومن ثم جاءت أبحاثهم متسمة بالموضوعية والاعتدال. [2]

ويرجع بعض الباحثين الإسلاميين نمو الأغراض العلمية للدراسات الاستشراقية إلى أسباب عديدة منها: انحصار المد الاستعماري المباشر بعد الحرب العالمية الثانية وبروز أفكار جديدة تنادي بالمساواة بين الدول، وحق الشعوب في تقرير مصيرها، وإلغاء الهيمنة الاستعمارية وخلق جهاز دولي جديد كالأمم المتحدة، يحاول طبقا لمجهوداته حفظ الأمن والسلام، والمساواة بين الشعوب، ومنها تطور طرق البحوث العلمية في مجال العلوم الإنسانية.[3]

فما كان لأوروبا أن تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية.

4 الهدف التجاري

وقد ظهرت تلك الأهداف التجارية في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، فقد كان الغربيون مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعتهم التي كانت في طريقها للازدهار، ومن أجل هذا وجدوا أن الحاجة ماسة للسفر إلى البلاد الإسلامية، والتعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية، حتى يحسنوا

---

[1] – محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص 78.

[2] – محمود ماضي، **الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده**، ص25.

[3] – المرجع نفسه، ص.ص 26-27.

التعامل مع تلك البلاد، وتحقيق ما يصبون إليه من وراء ذلك من تحقيق فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعتهم بالخير العميم.[1]

فمثلا نجد أن المواد الخام تجلب من البلاد الإسلامية وغيرها إلى الدول الاستعمارية لتصنع وتكرر وتعلب وتعاد إلى مصدرها فتباع بأثمان غالية في الوقت الذي كان يمكن فيه أن تصنع هذه المواد الخام في مصدرها وتباع إلى الدول الأوروبية بأثمانها الغالية كما بدت هذه الصورة واضحة في الآونة الأخيرة عندما بدأت بوادر التحرر من السيطرة الأوروبية تشق طريقها إلى العالم الثالث(النامي).[2]

ولم يتوقف الهدف التجاري عند بدايات الاستشراق بل واصل مسيرته فهو يعتبر من أهم الأهداف لمواصلة الدراسات الاستشراقية .

[1] – علي بن إبراهيم النملة، **الاستشراق في الأدبيات العربية عرض للنظرات وحضر وراقي للمكتوب**، ص 54.

[2] – محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص77.

المبحث الثالث: وســـائــل الاستشراق وتصنيف المستشرقين.

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا وسلكوها و منها:

أولا: إنشاء المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة باودي وكانت مهمتها تخريج عدد كبير من المتخصصين في الدراسات الإسلامية والشرقية.

ثانيا: تأسيس المطابع الشرقية في بلدان الشرق والغرب، وقد استوعبت مطبعة ليدن وحدها حروف عشرين لغة شرقية، ثم تعددت مطابع الجامعات والمكتبات والجمعيات، والمراكز الثقافية والعلمية والأثرية، وقد ساعد على نشر كتبهم ومجلاتهم.[1]

ثالثا:إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وشعوبه وذلك لما للصحيفة والمجلة من أهمية في تقديم المعلومة المختصرة بصورة متجددة وانتشار واسع، وقد قاربت المجلات الاستشراقية 300 مجلة بمختلف اللغات.[2]

أما أهم المجلات التي يصدرها المستشرقون في الدول الاستعمارية الكبرى:

1 المجلة الآسيوية: وهي المجلة التي أنشأها الفرنسيون في سنة 1787 وجعلوها جمعية للمستشرقين.

2 مجلة الجمعية الآسيوية الملكية: وهي مجلة أنشأت في لندن سنة 1823 لتشجيع الدراسات الشرقية وكان ملك انجلترا مشرفا عليها.

3 مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية: وهي جمعية أنشأها المستشرقون الأمريكيون في سنة 1842 عنيت بالدراسات الشرقية.

4 مجلة جمعية الدراسات الشرقية: وهي من المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون في القرن العشرين وكانت تصدر في مدينة جامبير بولاية أوهايو، وكان لها فروع في أوروبا وكندا.

---

[1] – ينظر: محمد أمين حسن محمد بني عامر، **المستشرقون والقرآن الكريم**، ص63.

[2] – ينظر : محمد فتح الله الزيادي، **الاستشراق –أهدافه ووسائله– دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون**، ص53.

5 مجلة شؤون الشرق الأوسط: وهي مجلة يصدرها المستشرقون الأمريكيون في وقتنا الحاضر وطابعها على العموم يأخذ طابعا سياسيا.

6 مجلة العالم الإسلامي: وهي مجلة يصدرها المستشرقون الأمريكيون وتعد من أخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون أنشأها صموئيل زويمر سنة 1911 تصدر من هارتفورد بأمريكا ورئيس تحريرها كنيث كراج وطابع هذه المجلة تبشيري سافر.[1]

رابعا: دخول المستشرقين إلى المجامع العلمية العربية وخاصة اللغوية منها، ليس سوى وسيلة للاتصال المباشر بالعلماء والمفكرين العرب والمسلمين، وقد ساهمت في تسريب الفكر الاستشراقي إلى هذه المؤسسات.[2]

ثم إن اشتراكهم في المجامع اللغوية والعلمية الرسمية، واهتمامهم باللغة العربية، يرجع في بعض أسبابه إلى التمهيد للحملات الاستعمارية، ومحاولة فهم الشرق الإسلامي من جميع نواحيه، وإدراك أسرار الشعوب التي يتسلطون عليها، ومعرفة مكامن القوة والضعف لديها، ولا شك في أن دراسة اللغة تعيين على تحقيق هذا كله، ومن المستشرقين الذين اشتركوا في المجتمع اللغوي بمصر، جب ومرجليوت، ونيكلسون، وثلاثتهم من انجلترا، ولوى ماسنيون الفرنسي ومنهم أيضا: أ.ج. فيسينك وهو عدو لدود لإسلام.[3]

خامسا: عقد المؤتمرات للتباحث في شؤونهم ورسم الخطط، وقد بلغت مؤتمرات المستشرقين الدولية عام 1873-1964 ستة وعشرين مؤتمرا ضم الواحد منها مئات العلماء من أعلام المستشرقين والعرب والمسلمين الشرقيين من آسيا وإفريقيا وتناولوا الأبحاث والنظريات والمقترحات ثم نشروها في مجلدات للاهتداء بها كنظم ومناهج ووسائل ثم أصبحت دراسات مؤتمراتهم الموضوعية والإقليمية

---

[1]- ينظر: مصطفى السباعي، **الاستشراق والمستشرقون –مالهم وما عليهم–**، ص.ص28-29.

[2]- المرجع نفسه، ص 35.

[3] - إسماعيل علي محمد ، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل –مدخل علمي لدراسة الاستشراق–**، ص.ص101-102.

أصولا وأمهات للباحثين، وعندما رأى المستشرقون الوعي الديني عند المسلمين أضافوا على مؤتمراتهم صيغة البحث الأكاديمي ليبعدوا عنها الشبهات.[1]

سادسا: إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، ومن المؤسف أن أشدهم خطرا وعداءا للإسلام كانوا يستدعون إلى الجامعات العربية والإسلامية في القاهرة ودمشق وبغداد والرباط وكراتشي ولاهور وعليكرة وغيرها ليتحدثوا عن الإسلام ...[2]

ونذكر على سبيل المثال: (بلتيه) الذي درس في كلية الحقوق بالجزائر و(هوداس) الذي عين مديرا لمعهد الدراسات العليا في الرباط، وفي الجامعات المصرية كان الإيطاليون جويدي وسانتلانا ونلينو، والفرنسي كازانوفا، والبلجيكي جريجوارا، والألماني شاخت، وغيرهم.[3]

سابعا: الإرساليات التبشيرية إلى العالم الإسلامي ليزاول المستشرقون أعمالا إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ والمياتم، ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية وأشباهها.[4]

وليست هذه الإرساليات إلا ركيزة من ركائز الغزو الفكري للعالم الإسلامي ورافد من روافده ولها نفوذ وسيطرة كبيران في بعض البلاد الخاصة الفقيرة منها، وهي في بعض البلاد أكثر نفيرا ولا صوت يعلو فوق صوتها، ولا يوجد فكر آخر يقدر على أن يزاحم فكرها المدمر، لما لها من صولة وجولة، ومن بطش أحيانا، وتدعمها كبرى الدول، وتشد من أزرها، وهي عامل من عوامل عدم الاستقرار في البلاد التي تحتل فيها، ولن تسير الأمور على نحو مستقيم إلا باستئصال شأفتها وقطع دابرها من العالم الإسلامي.[1]

---

[1] – محمد أمين حسن محمد بني عامر، **المستشرقون والقرآن الكريم**، ص65.

[2] – مصطفى السباعي، **الاستشراق والمستشرقون –مالهم وما عليهم–**، ص26.

[3] – محمد فتح الله الزيادي، **الاستشراق –أهدافه ووسائله– دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون**، ص.ص 49-50.

[4] – مصطفى السباعي، **الاستشراق والمستشرقون –مالهم وما عليهم–**، ، ص 26.

ثامنا: إنشاء الموسوعات العلمية (دوائر المعارف الإسلامية) أصدر المستشرقون دائرة المعارف الإسلامية بعدة لغات، وقد بدأ بترجمة الطبعة الأولى إلى العربية، وصدر منها حتى الآن ثلاثة عشر مجلدا وتتسم هذه الموسوعة التي وضعها أشد الناس عداءا للإسلام بأنها مليئة بالأباطيل المدسوسة على الإسلام مرجعا علميا وهذا يدل على جهل أبناء المسلمين بالثقافة الإسلامية.

تاسعا: تأليف الكتب عن الإسلام والرسول والقرآن والتاريخ الإسلامي، وحشوها بالتحريف المعتمد في نقل النصوص، وفي فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها.[1]

وفي الأخير نستنتج أن هذه الوسائل ليست سوى مخططات من أجل كسب ثقة المسلمين وجعلهم يشعرون بالاطمئنان إلى نزاهة الفكر العربي، فالمستشرقون بما يكتبونه عن الإسلام والحضارة العربية الإسلامية ليس في الحقيقة سوى طعن وهجوم على الإسلام والمسلمين ولهذا يجب علينا أن نتوخى الحذر من هاته الأبحاث...

1 – محمد أمين حسن محمد بني عامر، **المستشرقون والقرآن الكريم**، ص67.

المستشرقون بين التعصب والاعتدال

حركة الاستشراق واسعة النطاق، متشعبة الفروع، تختلف في بدايتها وفي المراحل التي قطعتها، وفي اتجاهاتها ودوافعها، وفي النتائج التي وصلت إليها، وقد ساهم في حركة الاستشراق آلاف من المستشرقين، عبر العصور التاريخية المختلفة، وكانت جهودهم متفاوتة، مختلفة في صورها وبواعثها.وليس المستشرقون جميعا صنفا واحدا، فهناك من قدم إنتاجا علميا ضخما أفاد به البشرية عامة والشرق خاصة، ومنهم من كان إنتاجه وجهده متواضعا، ومنهم من عاش على هامش الاستشراق... وقد أنصف كثير من المستشرقين الإسلام والرسول والتاريخ الإسلامي والحضارة العربية، ولكن بعض المستشرقين دفعهم تعصبهم أو حقدهم أو جهلهم أو تقصيرهم إلى الإساءة والإجحاف والجحود.[1]

وبهذا يمكننا تصنيف المستشرقين من حيث الإنصاف والتعصب إلى ثلاث فئات متميزة:

أولا: المستشرقون المنصفون.

وهم الذين درسوا التراث العربي والإسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم، وهذا الصنف قليل عدده جدا، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، وهذه الفئة أسلم الفئات الثلاث في أهدافها وأقلها خطرا، إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حيث تبين لهم، ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها، فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع.[2]

ففي القرن التاسع عشر، ظهر عدد كبير من المستشرقين في مختلف الأقطار الأوروبية، امتاز بعضهم بدقة البحث وإتقان الطريقة العلمية وتطبيقها على الدراسات العربية وبشمول النظر واتساعه

[1] - علي حسن الخربوطلي، **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص.ص 97 -98.

[2] - مصطفى السباعي، **الاستشراق والمستشرقون–مالهم وما عليهم**–، ص.ص31-32.

والتطرق إلى جوانب متعددة من الحضارة الإسلامية، وقد قاموا بنشر عدد كبير من كتب التاريخ العربية، وكتب أخرى تتناول جوانب كثيرة من الحضارة العربية، نشرا علميا دقيقا.[1]

ومن أبرز المستشرقين الذين أنصفو الإسلام وحضارته وتاريخه جوستاف لوبون وهو مستشرق فرنسي فطن إلى فضل العرب على حضارة أوروبا فأصدر في سنة 1884 كتاب حضارة العرب.

أما المستشرقين الذين خدموا التاريخ الإسلامي المستشرق الألماني بولبوس فلهوزن الذي أخرج للمكتبة الإسلامية العديد من الكتب منها: آثار من الجاهلية العربية، كتاب المدينة قبل الإسلام، وكتاب مقدمة للتاريخ الإسلامي الأقدم، وكتاب الدولة العربية وسقوطها.[2]

ونخص بالذكر المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه صاحبة كتاب" شمس العرب تسطع على الغرب أو أثر الحضارة العربية في أوروبا " وهو كتاب علمي أكاديمي تحدثت فيه عن الحضارة العربية والإسلامية وأثرها في تطوير حضارة الغرب في العلوم والفنون والأدب....

ثانيا: المستشرقون المتعصبون.

وهناك فئة أخرى من المستشرقين أساءت إلى الدين الإسلامي وإلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى الحضارة الإسلامية والعربية، وكان هؤلاء المستشرقين الذين اتصفوا بالإجحاف والجحود، على جانب كبير من الدهاء والذكاء والمكر، فقد بذلوا جهودا علمية كبيرة، وتعمقوا في الدراسات العربية الإسلامية، وقدموا إنتاجا علميا قيما، حتى يغروا أهل الشرق على قراءته أو الاستفادة منه. ولم تكن كل كتاباتهم إساءات فهم أذكياء مهرةً، بل إنهم لم يسرفوا في إجحافهم، فاقتصرت إساءاتهم على سطور قليلة متناثرة بين صفحات الكتاب العديدة، فكان كمن (يضع السم في العسل)، فأصبحت كتبهم كوبا من العسل الرائق اللون الحلو المذاق، وفيه قطرات قليلة من السم كافية للقضاء على الحياة وجاءت هذه السطور في ثنايا الكتاب، لا يفطن إليها إلا متخصص متعمق، أو قارئ

[1] - علي حسن الخربوطلي، **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**، ص101.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص.ص105-106

فطن لبيب، ولكن قد تفوت على القارئ العادي غير المتخصص، وتؤدي إلى بلبلة العقول،وتشويه الأفكار.[1]

ومن أسماء أخطر المستشرقين المعاصرين وأهم كتبهم.

1 أ.ج أربري A.J.A: إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين ومن محرري "دائرة المعارف الإسلامية" ومن كتبه: "الإسلام اليوم" صدر عام 1943، "مقدمة لتاريخ التصوف" صدر في عام 1947، "ترجمة القرآن" صدر في عام 1950.

2 ألفرد جيوم A.Geom:إنجليزي معاصر، اشتهر بالتعصب ضد الإسلام، وتغلب على كتابته وآرائه الروح التبشيرية، ومن كتبه: "الإسلام".

3 جولد تسهير Gold Ziher: مجري، عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه، ومن محرري "دائرة المعارف الإسلامية" كتب عن القرآن والحديث، ومن كتبه "تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي" المترجم إلى العربية تحت العنوان السابق.[2]

ثالثا: مستشرقون متعصبون بدون قصد.

وهناك فئة ثالثة من المستشرقين وقعوا في الخطأ والزلل، وأساءوا إلى تاريخنا الإسلامي وحضاراتنا العربية، ولكن بدون قصد أو عمد.

يقول المستشرق الألماني "بارت" :«نحن معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بها قط لكي نبرهن على ضعة العالم العربي الإسلامي، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة والذي عبر عنه الأدب العربي كتابة. ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نُعمل فيه النظر، بل تقييم له وزنا فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو يبدو وكأنه يثبت أمامه،

[1]- علي حسن الخربوطلي، **المستشرقون والتاريخ الإسلامي** ، ص.ص 107-108.

[2]-ينظر: مصطفى السباعي ، **الاستشراق والمستشرقون –مالهم وما عليهم–**،ص.ص39-41

ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن، وإذا كانت إمكانات معرفتنا محدودة – وهل يمكن أن تكون إلا كذلك؟– فإننا نؤكد بضمير مطمئن أننا في دراساتنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة.»[1]

وبهذا يؤكد بارت بأن إمكانيات معرفة المستشرقين محدودة مما يسبب وقوع بعض المستشرقين في الخطأ والزلل وذلك دون قصد.

ومن عوامل خطأ المستشرقين، بدون قصد، عدم توصلهم إلى أسرار اللغة العربية التي هي ليست لغة المستشرقين الأصلية، فهم لم يستطيعوا أن ينقذوا إلى كنهها نفوذ العرب إليها، ولذا استعصى على بعض المستشرقين فهم النصوص العربية والوصول إلى أعماقها، وإذا كنا نفرض تخبط بعض المستشرقين في الدراسات الأدبية العربية إلى عدم فهمهم التام لأسرار البيان العربي، فإن تخبط بعضهم في الدراسات الإسلامية التي يقومون بها ويتصدون لها قد يعزى إلى جهلهم بحقيقة الإسلام وفهمه على حقيقته والنفوذ إلى أسراره، والإحاطة بروحه التي لا يدركها إلا العليم.[2]

ومنه فإن المستشرقين ثلاثة أصناف منهم المنصفون الذين أخلصوا في دراساتهم للتراث العربي الإسلامي، والمتعصبون وهم من أساءوا إلى الدين الإسلامي والرسول عليه الصلاة والسلام، وصنف أخر وقعوا في الخطأ وأساءوا إلى تاريخنا الإسلامي وحضاراتنا العربية ولكن بدون قصد.

[1]– رودي بارت، **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**، تر: مصطفى ماهر، ص.ص 15-16.

[2]– علي حسن الخربوطلي، **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**، ص.ص 115-116.

المبحث الأول: مفهوم الحضارة مظاهرها وخصائصها

لوحظ في السنوات الأخيرة عناية الباحثين بدراسة جوانب الحضارة الإسلامية وذلك نظرا لما قامت به هذه الحضارة من دور بارز سواء في العالم الإسلامي أو لأثرها الواضح على العالم الغربي، والتي كانت تعاني من التخلف والجهل فجاءت الحضارة العربية الإسلامية لتوقظها من سباتها.

مفهوم الحضارة

جاء في اللغة: «الحضارة الإقامة في الحضر عن أبي زيد: وكان الأصمعي يقول: الحضارة بالفتح، قال القطامي:

فَمَنْ تَكُنْ الحَضَـارةَ أَعْجَبَتـْهُ فَأَيُ رِجَالِ بَادِيَـة تَرَانَـــــا

والحضر والحضيرة والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمطار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار.»[1]

ويعتبر ابن خلدون أول من اصطلح الحضارة بالمعنى الفني، إذ فرق في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري، وجعل أجيال البدو والحضر طبيعة في الوجود، فالبداوة أصل الحضارة، والبدو أقدم من الحضر، لأنهم يقتصرون على إفتحال الزراعة والقيام على الحيوان لتحصيل ما هو ضروري لمعاشهم.

أما الحضر فأن أنتحلهم للصنائع والتجارة يجعل مكاسبهم أكثر من مكاسب أهل البدو، وأحوالهم في معاشهم زائدة على الضروري منه، من جهة أخرى ربط ابن خلدون الحضارة بالسيادة أي الملك والاستقرار حتى تستطيع أن تنمو وتزدهر.[2]

أما "ول ديورانت" مؤلف كتاب قصة الحضارة فيعرف الحضارة بأنها: «نظام اجتماعي يعين الإنسان على زيادة إنتاجه الثقافي.»[3]

---

[1]- ابن منظور، **لسان العرب المحيط**، مج1، مادة حضر ومادة بدا، إعادة يوسف الخياط، دار الجيل، بيروت، 1988.

[2]- عبد الحسين مهدي الرحيم، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، الجامعة المفتوحة، طرابلس، دط، 1995، ص27.

[3] – المرجع نفسه، ص28

والحضارة لا تعني الجانب المادي فقط، بل إنها تشمل الجانب الرّوحي العقائدي الفكري التشريعي أيضا، وبالتالي تشمل نظرة متكاملة منسجمة إلى الكون، والإنسان، والحياة. وتنشأ الحضارة من عاملين أساسين هما: الأرض والإنسان، من موارد الأرض الطبيعية، التي تحولها رغبات الإنسان وجهوده وتنظيمه إلى ما فيه منفعة.[1]

أما الحضارة عند المحدثين فهناك من يرى أنها تلك الأعمال الأدبية والفنية والعلمية والتقنية التي تنتقل من جيل إلى جيل سواء كان ذلك في مجتمع واحد أو مجتمعات أخرى، فنقول الحضارة العربية والحضارة الصينية والحضارة الأوروبية....إلخ. في المقابل هناك من يطلق لفظة الحضارة على مرحلة زمنية شهدت فيها إحدى المجتمعات تطورا وازدهارا من الناحية الأدبية والعلمية.[2]

ومن هنا يمكننا القول بأن الحضارة هي جهود الإنسان أو مجموعة المفاهيم الموجودة عند كل البشر، من اختراع واستكشاف والتفكير والعمل لاستغلال الطبيعة وذلك للوصول إلى مستوى حياة أفضل، والتي هي ثمرة جهود الأمم كلها.

مظاهر الحضارة

للحضارة مظاهر متعددة تظهر بها:

1 – المظهر السياسي: ويبحث في هيكل الحكم، ونوع الحكومة: ملكية أم جمهورية، دستورية أم مطلقة... والمؤسسات الإدارية والمحلية.

2– المظهر الاقتصادي: ويبحث في موارد الثروة، ووسائل الإنتاج الزراعي والصناعي، وتبادل المنتجات.

3– المظهر الاجتماعي: ويبحث في تكون المجتمع ونظمه، وحياة الأسرة والمرأة، وطبقات المجتمع والآداب ....

[1] – شوقي أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز الحضارات السابقة**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994، ص20.

[2] – ينظر: عبد الحسين مهدي الرحيم، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، ص28.

4- المظهر الديني: ويبحث في المعتقدات الدينية، والعبادات، وعلاقة الإنسان ونظرته إلى الكون والحياة.

5- المظهر الفكري: ويبحث في النتاج الفكري، من فلسفة وعلم وأدب...

6- المظهر الفني: ويبحث في الفن المعماري، والرسم، والموسيقى، وغيرها من الفنون.[1]

خصائص الحضارة العربية الإسلامية

لكل حضارة مميزات وخصائص تتصل بشعب تلك الحضارة ونظرته إلى الحياة وطريقة تفكيره وعاداته وتقاليده ودينه وأخلاقه وهكذا تمثل كل حضارة نسيجا فريدا في الطبيعة أو البيئة ومن هذا المنطلق نرى أن للحضارة العربية الإسلامية مجموعة من الخصائص التي تختص بها نجملها بالآتي :

1- الحضارة العربية وصيتها العالمي وأثرها على الحضارات الأخرى

أي أن الحضارة العربية الإسلامية ليست حضارة محصورة بجنس واحد قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَعْلَمُون﴾[2]

كما وسعت هذه الحضارة الأمم والأجناس المختلفة واستطاعت تلك الشعوب والبيئات أن تطور حياتها معنويا وماديا تطويرا واضحا في ظلها وتترقي ازدهار الحضارة الإسلامية وإبقائها حملة الحضارة دليل على ذلك.[3]

ولقد وصف كثير من المستشرقين الحضارة العربية ومبتكراتها وإبداعها الفني وقالوا: بأنها من الحضارات الإنسانية المهمة، ومن هؤلاء المستشرقين ما قاله غوستاف لوبون وهو يصف حيوية هذه الحضارة بقوله:«وقد رأينا العرب ذوي، أثر بالغ في تمدين الأمم التي خضعت لهم، وقد تحول بسرعة كل بلد خفقت فوقه راية الرسول صلى الله عليه وسلم، فازدهرت فيه العلوم، والفنون، والآداب،

---

[1]- شوقي أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، ص.ص26-27.

[2]- **سورة سبأ** الآية 28

[3]- عبد الحسين مهدي الرحيم، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، ص33

والصناعة، والزراعة أيما ازدهار»ومن حيوية هذه الحضارة أنها أثرت في المدينة العالمية، وفي نقل تراث الأمم القديمة، وكان لها أثر فعال في الشرق والغرب، كما كانت من عوامل النهضة الأوروبية الحديثة.[1] وورد في القرآن الكريم آيات تعطي للإسلام صفة الحيوية قال تعالى:﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اَللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاَللَّهُ عَلَى كُلِّ شيء قدِيرٌ.﴾[2]

ويرى الإسلام أن كل شيء يجري بحسبان على سنن كونية معلومة وأنظمة محكمة تحث الناس على معرفتها قال تعالى:﴿وَخَلَقَ كُلَّ شيء فَقَدَرَهُ تَقْدِيراً.﴾[3]

لقد كان للحضارة العربية أثر في العالم كله ويعود ذلك إلى نقلها لتراث الأمم القديمة كما كانت من أهم عوامل النهضة في العالم الأوروبي الحديث.

2- الحضارة العربية الإسلامية ومدينه العرب قبل وبعد الإسلام وما شهدته من تطور

هذا يعني أن هذه الحضارة لم تقتصر على مدينة الإسلام وحدها، بل ضمت الأمم الأخرى في الشرق والغرب من خلال عملية التأثير المتبادل، ثم أفرغ العرب هذا المزيج في قالب خاص من طبع النزعة العلمية وحب الاستقصاء والابتكار.[4]

فبدأ علماء المسلمين بالإطلاع على مختلف علوم الحضارات والأمم الأخرى والسبب أن الدين الإسلامي يحث المسلم على التزود بالعلوم لأن المسلم كلما ازداد علمه تعمق إيمانه، فالإسلام شجع على العلم وكرم العلماء ومنه قوله تعالى:﴿هَلْ يَسْتَوِي الَذِينَ يَعْلَمُونَ والذِينَ لاَ يَعْلَمُون﴾[5]

ولما كان الإسلام خاتمة الرسالات فمن الضروري أن تكون حضارته حضارة متطورة تستطيع أن تسع كل تطورات الحياة الإنسانية ولا تقف جامدة أمام متغيرات الحياة البشرية في واقعها الفردي

---

[1] – عبد الحسين مهدي الرحيم، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، ص33

[2] – **سورة آل عمران** الآية 29

[3] – **سورة الفرقان** الآية 2.

[4] – عبد الحسين مهدي الرحيم، **تاريخ الحضارات العربية الإسلامية**،ص 33.

[5] – **سورة الزمر** الآية 9

والاجتماعي، ولذلك اعتمدت في تشريعاتها على الكتاب والسنة والاجتهاد والتي وصلت إلينا بالثورة العلمية الطائلة من المؤلفات المختلفة في العلوم الإسلامية والإنسانية والطبيعية المختلفة.[1]

إن ما شهدته الحضارة العربية الإسلامية من تطور في شتى المجالات وخاصة المجال الأدبي والعلمي لم يقتصر على ما بعد الإسلام فقط بل شمل كذلك مدينة العرب ما قبل الإسلام أي التراث العربي القديم (التراث العربي ما قبل الإسلام).

3- الحضارة العربية والعقيدة الإسلامية

تؤمن هذه الحضارة بالله ورسله وأنبيائه عليهم السلام وتهتدي بهدى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان هذا يستهدف حماية الحضارة بسياج منيع من القيم الروحية والمثل الكريمة، وهو لا يتعارض مع العقل لأن الإسلام يقوم على أساس مبدأ تعقل الإيمان، ولقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من مادة وروح واحدة بكل أسباب الحياة المادي والروحي وأن حياته الصالحة هي تلك التي يراعي فيها هذا الجانب وذاك ويظهر ذلك جليا في تعاليم الإسلام وتشريعاته.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم:«ومَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرسُ أَو يَزرَعُ زَرْعًا فَيَأكلَ منهُ إنْسانٌ أو طَيرٌ أوْ بَهيمةٌ إلا كانتْ لَهُ بهِ صَدقَةً»[2]

وقال تعالى:﴿وَابْتَغِ فِيمَا أَتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرة ولاَ تَنْسَ نَصِبَكَ مِنَ الدُنيَا.﴾[3]

ومن هنا يمكننا القول أن الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي تبنى على أساس الإيمان بالله وحده لا شريك له، والالتزام بشرع الله تعالى قرآنا وسنة.

4- الحضارة الإسلامية وأخلاق العرب ونزعتهم الإنسانية

تتصل النزعة الإنسانية بالحضارة الإسلامية عن طريق القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف دون أن ننسى ما ورثه العرب من الأخلاق الحميدة التي رواها لنا التراث العربي.

---

[1] – عبد الحسين مهدي الرحيم، **تاريخ الحضارات العربية الإسلامية**، ص35.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3] – **سورة القصص**/الآية 77.

وفي الحديث الشريف أمثلة كثيرة عن النزعة الإنسانية، فقد روى عن معاذ بن جبل أنه قال. قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوصِيكَ بِتَقْوى اللهِ، وَصِدقِ الحَديثِ، ووفَاءِ العَهْدِ، وأَدَاءِ الأَمانِةِ، وتركِ الخِيانَةِ، وحِفظِ الجِيَادِ، ورَحْمة اليتِيمِ، ولينِ الكَلاَم، وبَذْلِ السلام، وخفظِ الجَناحِ.»[1]

ولقد حث القرآن الكريم على العفو والصفح قال تعالى:﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرِبُ للتَقْوى وَلاَ تَنْسُوا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرْ.﴾[2]

إن النزعة الإنسانية للعرب وأخلاقهم والتي أهمها التسامح كانت من أكبر العوامل التي جعلت أهل البلدان الأخرى تعتنق الإسلام وتنخرط في الدولة العربية الإسلامية.

5- التشاور لأجل مجتمع إسلامي متماسك

عرف العرب التشاور في أمورهم العامة قبل الإسلام، وكانت المناظرة والمفاوضة والتحكيم طريقهم في حل مشاكلهم وخصوماتهم، وإن وقعت الحرب بينهم سعى بعضهم إلى الصلح، ثم جاء الإسلام وأكد على حالة الشورى.[3]

قال تعالى:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمتَ فَتوَكَّلْ علىَ اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُ المتَوَكِّلينْ.﴾[4]

وفي آية أخرى قال عز وجل:﴿وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ.﴾[5]

وتتبين حرية الرأي والشورى في الإسلام ودولته في جملة مواقف مع الرسول صلى الله عليه وسلم منها: موقعة بدر حيث أشار الحباب بن المنذر بن الجموح بتغيير منزل المسلمين في بدر استعدادا للحرب وقد استجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لمشورته، وظهرت المشورة وحرية الرأي أيضا في المفاوضات كصلح الحديبية، وفي بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي بيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه،

---

[1] - ينظر: عبد الحسين مهدي الرحيم، **تاريخ الحضارات العربية الإسلامية**، ص.ص 36-37.

[2] - **سورة البقرة**/ الآية 237

[3] – عبد الحسين مهدي الرحيم، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، ص41.

[4] - **سورة آل عمران** / الآية 159

[5] - **سورة الشورى**/ الآية 38.

وفي عقد التحكيم الذي جرى في صفين بين الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وبين معاوية بن أبي سفيان....إلخ.[1]

إن من أهم الركائز التي بنيت علها الحضارة العربية الإسلامية مبدأ الشورى وذلك من أجل حل مشاكلهم وخصوماتهم للحصول على مجتمع متماسك متحد.

في الأخير يمكننا القول أن ما جعل من الحضارة العربية الإسلامية حضارة وسعت الأمم والأجناس المختلفة وذلك من خلال نقلها للتراث القديم سؤاء كان العربي أو الغربي بالإضافة إلى الأخلاق الحميدة التي اتصف بها أفراد المجتمع الإسلامي ونزعتهم الإنسانية .

[1] – ينظر: عبد الحسين مهدي الرحيم، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، ص42.

المبحث الثاني : الاستشراق ونظرته إلى الحضارة العربية الإسلامية.

1- المستشرقون وموقفهم من القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كتاب الإسلام الأول الذي تقوم على أساسه عقائد الدين الإسلامي وشريعته، وتنبثق منه أخلاق الإسلام وآدابه، فإذا ثبت أنه وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإن الإيمان به يصبح أمرا لا مفر منه.[1]

أ- ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم

إن قيام المستشرقين بترجمة القرآن الكريم كان الغرض منه تحقيق أهداف دينية صرفية حتى يتمكنوا بعد الإطلاع عليه من معارضته، ونقض أحكامه، وتشويه أسلوبه وبلاغته، والنيل من إعجازه فجاءت تلك الترجمات مبتسرة ومذيلة بتعليقات وانتقادات متميزة، وبعيدة عن ترجمة نصّه الصحيح، وعندما تطور الاستشراق طبقا لتحقيق الأهداف التي ينبغي تحقيقها لجأ صنّاعه إلى ترجمة القرآن للطعن في صدقيته سعيا إلى تحطيم معنويات الشعوب الإسلامية وكسر معتقداتها وتشكيكها في صحة كتابها المقدس.[2]

ومن هذه الترجمات :

1. ترجمة بلاشير للقرآن في ثلاثة أجزاء.
2. ترجمة معاني القرآن للمستشرق الفرنسي ماسون، راجعها الدكتور صبحي الصالح.
3. ترجمة القرآن إلى الفرنسية للمستشرق الفرنسي مونتي، ونقلت الترجمة إلى الإيطالية.
4. ترجمة القرآن وفقا لترتيب نزول الآيات للمستشرق الإنجليزي روديل...[3]

إن الهدف وراء هذه الترجمات للقرآن الكريم من طرف المستشرقين ليس من أجل تعريفه للشعوب الغربية، بل من أجل انتقاده وتشويهه أسلوبيا و بلاغيا ...

---

[1]- محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص86.

[2]- ساسي سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي-الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية-**، ص392.

[3]- محمد فاروق النبهان، **الاستشراق، تعريفه، مدارسه، أثاره**، ص47.

ب- التشكيك في مصدر القرآن ونصه

لقد حذا المستشرقون المتحاملون على الإسلام في موقفهم من القرآن حذو مشركي مكة، وبذلوا محاولات مستميتة لبيان أن القرآن ليس وحيا من عند الله وإنما هو من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول "جورج سيل G.Sale " في مقدمة ترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن التي صدرت عام 1736 مايأتي: «أما أن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من الرجح أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة، وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا اعتراض عليه بذلك.»[1]

ويرى المستشرق المجري "جولدزيهر Gold Ziher" أن الرسول خلال النصف الأول من حياته، اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارا أخذ يجترها في قرارة نفسه وهو منظور تأملاته أثناء عزلته، واختلطت هذه الأفكار بما يلاحظه من قساوة الحياة، واضطهاد الفقراء، وطغيان الأغنياء بمكة، فتملكه شعور بأن الله يدعوه بقوة تزداد شيئا فشيئا ليذهب إلى قومه منذرا إياهم بما يؤدي بهم إلى ضلالهم من الخسران المبين، أي أنه أحس بقوة لا يستطيع لها مقاومة تدفعه إلى أن يكون مربيا لشعبه أي" منذره ومبشره".[2]

ويذهب الخيال الاستشراقي كل مذهب لإثبات أن محمد صلى الله عليه وسلم هو مؤلف القرآن.

ويرى "ريتشارد بل Richard Belle" مؤلف كتاب مقدمة القرآن أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اعتمد في كتابته للقرآن على الكتاب المقدس، وخاصة على العهد القديم في قديم القصص، فبعض قصص العقاب كقصص عاد وثمود مستمد من مصادر عربية، ولكن الجانب الأكبر من المادة

[1]- محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص.ص86-87.

[2]- ساسي سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي-الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية-**، ص.ص267-268.

التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمده من مصادر يهودية ونصرانية، وقد كانت فرصته في المدينة للتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة حيث كان على اتصال بالجليات اليهودية في المدينة، وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل.[1]

والواقع أن من له أدنى إطلاع ومعرفة بالقصص في كل من العهد القديم والقرآن الكريم يلحظ تهافت هذا الزعم وأمثاله، ومجافاته للحقيقة والصواب، ويدرك بعد ما بين القصص في كليهما كبعد ما بين المشرق والمغرب، ويقطع بأن العهد القديم لم يكن أبدا مصدرا للقصص في القرآن الكريم.[2]

أما الشبهة الأخرى التي أوردها المستشرقون، وهي عدم صحة النص القرآني، وكأنهم بذلك يريدون أن يردوا على القرآن بالسلاح نفسه.

وقد تكلم المستشرقون كثيرا في موضوع القراءات بالأحرف السبعة محاولين إثبات أن القراءة كانت حرة طليقة، الأمر الذي جعل تعرض نص القرآن للتغيير أمرا لا مفر منه، وهم بذلك يوهمون بأن التدوين وقع في جو هذه الحرية، وفي هذا الجو تم تسجيل قراءات مختلفة، وهذه القراءات التي نجمت عن ذلك لم تكن هي الصورة التي ورد بها الوحي أساسيا، ونتيجة ذلك كله هي القول بحدوث تغيير في النص القرآني.[3]

إن المشكلة الخطيرة التي أثارها معضلة الأحرف السبعة، تتمثل في قيام علماء المسلمين بحصر معاني الأحرف في سبعة أوجه المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة، نحو أَقْبِلْ وهَلُمَّ وتعَالْ،وعَجلْ وأَسْرِعْ وأنظر وأخّر، وأمهل ونحوه....ومن هذه القضية المختلف عليها استنبط المستشرقون "أن نظرية القراءة بالمعنى كانت بلا ريب أخطر نظرية في الحياة الإسلامية لأنها أسلمت النص القرآني إلى هوى كل

---

[1] – محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري** ، ص.ص88-89.

[2] –إسماعيل علي محمد، الاستشراق **بين الحقيقة والتضليل–مدخل علمي لدراسة الاستشراق**–، ص.ص205-206.

[3] – محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص94.

شخص، يثبته على ما يهواه"،ومن هذه المشكلة أيضا تحدث جولدزيهر عن الحرية في قراءة القرآن بالمعنى، ورتب عنها تلك النتيجة الخطيرة التي سطرها في مقدمة كتابه خصص لها اثنين وسبعين صفحة للبرهنة عليها وهي: أنه لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطرابات وعدم الثبات، كما نجد في النص القرآني. [1]

إن اختلاف القراءات أمر ثابت لا ننكره، ولكن الأمر الذي لا شك فيه أيضا أن القرآن الكريم كان وحيا باللفظ والمعنى معا، ومن أجل ذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا كل الحرص على تسجيل الوحي فور نزوله والعناية بحفظه في السجلات التي سطر فيها.[2]

وقد حاول بلاشير في كتابه مدخل إلى القرآن، أن يثير بعض الشكوك حول كتابة القرآن في المرحلة الأولى من نزوله، ولا ينفى احتمال أن يكون النص الأصلي قد أدخلت عليه بعض الزيادات الطفيفة في العهود المتأخرة.[3]

والثابت أن فكرة تدوين الوحي كانت قائمة منذ نزوله وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم كلما جاء الوحي وتلاه على الحاضرين أملاه من قوره على كتبة الوحي ليدونوه، وقد بلغ عدد كتّاب الوحي كما يذكر الثقات من العلماء تسعة وعشرين كاتبا أشهرهم الخلفاء الراشدون الأربعة ومعاوية، والزبير بن العوام، وسعيد بن العاص، وعمرو بن العاص، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت.[4]

وملخص القول: إن القرآن لم يخضع للاضطراب والتباين نتيجة وجود الأحرف السبعة، لأنها عبارة عن لهجات تباينت عندما تناولت القبائل المختلفة قراءة القرآن، وقد وجد العلماء المتأخرون في

---

[1] – ساسي سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي–الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية**–، ص339.

[2] – محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري** ، ص 95.

[3] – محمد فاروق النبهان، **الاستشراق، تعريفه، مدارسه، أثاره**، ص46.

[4] – محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص95.

ضبطه وتحقيقه، وأقاموا له علوما خاصة استقصت جميع جوانبه، وقد فطن إلى ذلك المسلمون الأوائل الذين أدركوا لما لهذه الأحرف من آثار على صحة النص القرآني فأشاروا على الخليفة عثمان بجمع القرآن على حرف واحد، ورفضت القراءة بالأحرف الستة الأخرى وكان الذي فعلوا من ذلك –كما قال الطبري– هو النظر إلى الإسلام وأهله، فكان القيام بفعل الواجب عليهم أولى من فعل ما لو فعلة كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة من ذلك.[1]

إن القرآن الكريم يتفرد بخصائص ومميزات تجعله يختلف عما في العهد القديم من قصص وغيره مظهرا وجوهرا، وشكلا ومضمونا، مبنى ومعنى.[2]

فهو يمتاز باتساقه، وائتلافه في حركاته وسكناته، بطريقة لا يضارعه فيها أي كلام آخر من منظوم أو منثور، وهذا المجال الصوتي، والنظام التوقيعي، والنغمة المنسقة هو الذي لفت العرب إلى خاصية القرآن الذي لم يروا فيه شعرا أو نثرا ولم يكن لهم عهد به حتى وصفوه بالسحر.

ومن خاصيته الأسلوب القرآني تأثر العامة والخاصة به على حد سواء، فيحس الجميع بجلاله، ويذوقون حلاوة وطلاوة بيانه، وهذا أكبر دليل على ألوهيته، إذ لو كان مصدره بشريا لما تأثر بأسلوبه العامة، ولاقتصر تذوقه على الخاصة.

ومن خصائص الأسلوب القرآني جودة سبكه، وإحكام سرده، وترابط بين أجزائه، وتماسك في كلماته وجمله وآياته وسوره، فهو يمتاز بالتناسق في اللفظ والمعنى[3]

[1] – ساسي سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي–الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية–**، ص342.

[2] – إسماعيل علي محمد، **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل–مدخل علمي لدراسة الاستشراق–**، ص206.

[3] – ساسي سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي –الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية–**، ص368.

بالرغم من كل التهم التي وجهت للقرآن الكريم إلا أن هناك من أنصفوه واطلعوا على تعاليمه وشهدوا شهادة حق من بينهم المستشرق لوبولوا حيث يقول:" إن القرآن هو الكتاب الرباني الذي ليس فيه أي تغيير يذكر."[1]

وتقول المستشرقة لوريا فيشيا فاغليري (Luria Fishia Fagiery) في كتابها "دفاع عن الإسلام":«إن القرآن لا يعقل أن ينبثق عن غير الذات الإلهية التي وسع علمها على كل شيء في السماء والأرض، ولا يزال لدينا برهان آخر أن مصدر القرآن إلهي، هذه الحقيقة هي أن نص القرآن ظل صافيا غير محرف طوال القرون التي ترامت بين تنزيله وحتى يومنا هذا، وأن نصه قد يظل على حاله تلك من الصفاء وعدم التحريف بإذن الله مادام الكون.»[2]

وتبقى الحقيقة مشرقة في سماء الكون مهما أنكرها المتعصبون نحو الإسلام ألا وهي أن القرآن الكريم ليس من تأليف الرسول صلى الله عليه وسلم ولا هو من كلام العرب بل هو منزل من عند الله تعالى ولقد اقتضت عنايته أن يبقى القرآن بعيدا عن عبث العابثين وتلاعب المحرفين.

المستشرقون وموقفهم من السنة

بعد محاولات المستشرقين الفاشلة للتشكيك في القرآن الكريم من جوانب مختلفة، وبعد أن أعياهم البحث وباءت كل محاولاتهم بالفشل، بحثوا عن بديل آخر ليوجهوا له اتهاماتهم من أجل زعزعة المسلمين وتشكيكهم في أمور دينهم وكان السنة النبوية التي هي الأصل الثاني للإسلام ومن بين المستشرقين الذين شككوا في صحة الحديث النبوي جولد سهير (Gold Ziher) حيث يقول إنه نظرا لأن ما وقع بين أيديهم –أي العلماء– لم يسعفهم في تحقيق أغراضهم، أخذوا يخترعون من عندهم أحاديث رأوها مرغوبا فيها ولا تتنافى والروح الإسلامية، ويزعزعوا ذلك أمام ضمائرهم بأنهم إنما يفعلون ذلك من أجل محاربة الطغيان والإلحاد والبعد عن سنن الدين، ونظرا لأنهم كانوا يؤملون في

[1] – محمد أمين حسن محمد بني عامر، **المستشرقون والقرآن**، ص**224**.

[2] – المرجع نفسه، ص231.

أعداء البيت الأموي وهم العلويون، فقد كان محيط اختراعهم من أول الأمر موجها إلى مدح أهل البيت الذين يعقد عليهم هؤلاء الأتقياء الأمل في إنقاذ الإمبراطورية الإسلامية، وهذا هو السبب الأساسي لتزوير الأحاديث المنصبة على مدح أهل البيت دون الهجوم المباشر على الأمويين، وهكذا سار الحديث في هذه المرحلة سيرة المعارضة السالبة بشكل مؤلم ضد المخالفين للسنة الفقهية والقانونية.[1]

وتتلخص المزاعم التي روجها«جولد سهير»إلى السنة أنه قد تأخر تدوينها مما أعطى فرصة للمسلمين في العصر الأموي نظرا للخلافات التي كانت قائمة آنذاك أن يزيدوا أو ينقصوا في وضع الأحاديث وذلك خدمة لمصالحهم.

كما لا ننكر أن هناك الكثير من الأحاديث المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه لا أصل لها، وأن ذلك لم يكن في يوم من الأيام خافيا على علماء المسلمين في مختلف العصور، ولكن الأمر الذي لاشك فيه أيضا أن علماء المسلمين الذين اهتموا بجمع الحديث النبوي لم يفرطوا إطلاقا في ضرورة التدقيق الذي لا حد له في رواية الحقائق، فقد وضع القرآن أمامهم قاعدة من قواعد النقد التاريخي[2] في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَومًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينْ.﴾[3]

وتتمثل هذه القاعدة في أن أخلاق الراوي تعد عاملا هاما في الحكم على روايته، وقد أفاد المسلمون إفادة عظيمة من هذه القاعدة وطبقوها على رواة الأحاديث النبوية، وقد كان تطبيق هذا المنهج النقدي على رواة الأحاديث هو الذي تطورت عنه بالتدريج قواعد النقد التاريخي.[4]

---

[1] – ساسي سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي–الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية–**، ص.ص425–426.

[2] – محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص108.

[3] – **سورة الحجرات**/ الآية 06.

[4] – محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري** ، ص.ص108–109.

لقد تعددت التهمات الموجهة للسنة النبوية حيث قيل أنها ليست من عادات وتفكير الأمة الإسلامية وقد اخترعها وحرفها العلماء في العصر الأموي من أجل خدمة مصالحهم، فبالرغم من كل مزاعم المستشرقين من أجل زعزعة اعتقاد المسلمين بإيمانهم وسنة نبيهم إلا أن هذه المزاعم لم تلقى أذانا صاغية وتبقى الحقيقة أن الأحاديث النبوية أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم نقلها عنه الصحابة والتابعين وكلهم صادقين مؤتمنين في دينهم، ولم ينقلوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلا ما تحققوا من صحته.

المستشرقون والتراث العربي الإسلامي

لطالما كان تراث الأمم ركيزة أساسية من ركائز هويتها وعنوان اعتزازها بتاريخها وحضارتها؛ هكذا هو الحال بالنسبة لتراثنا العربي الإسلامي الذي نعتز به ولا يجوز لنا أن نفرط فيه،وأنه مرتكز على الأسس الإسلامية (القرآن والسنة النبوية) بالإضافة إلى مجالات أخرى منها الأدب والفكر والعلوم بصفة عامة والفنون المختلفة.... و هذا ما جعله محط أنظار المستشرقين فرغبتهم في اكتشاف هذا المخزون التراثي فقاموا بالتنقيب فيه ودراسة نشأته، وتطوره، وتأثيره وقيمته منذ أقدم عصوره إلى أحدث عهوده وموازنته بغيره.

حيث يمكن حصر إسهامات المستشرقين في دراسة التراث العربي الإسلامي في العناصر التالية:

أولا: البحث عن المخطوطات، والرحلة إليها، وجمعها، ونقلها، وحفظها، و صيانتها.

ثانيا: فهرسة المخطوطات، وتوثيقها وضبطها وراقيا (وعائيا أو ببليوجرافيا)، وربما تكشيفها وتلخيصها.

ثالثا: تحقيق كتب التراث.

رابعا: الدراسات حول التراث إلى اللغات الأوروبية.

هذا بالإضافة إلى نسخ بعض المخطوطات وتحريرها، أو تصويرها، أو نشر اقتباسات من بعضها.[1]

ويرجع سبب اهتمام الغربيين بالمخطوطات إلى عدة عوامل أهمها:

1 محاولة البحث الموسع عن المعرفة الإنسانية في مختلف جوانبها وأيا كان مصدرها وذلك في أعقاب اليقظة الأوروبية وتحت تأثير النمو الحضاري الإسلامي في الأندلس.

2 تمثل هذه المخطوطات أهمية كبيرة في التعرف على الفكر اليوناني والروماني، وذلك باعتبار ما للمسلمين من دور واضح في ترجمة أجزاء مهمة من هذا الفكر.

3 حب الإطلاع الذي ساد الأوروبيين، خاصة فيما يتعلق بالإسلام نتيجة التأثير الأندلسي، ونتيجة الأثر الذي تركه كتاب الرحلات في العالم الغربي.

4 رغبة الكنيسة الشديدة في التعرف على الإسلام والمسلمين واستخدام هذه المعرفة في مقاومة المد الإسلامي في مختلف أنحاء العالم.

5 ما تمثله هذه المخطوطات من قيمة مادية وعلمية كبيرة، وذلك نتيجة احتوائها على الكثير من النظريات العلمية التي ابتكرها العلماء المسلمون في مختلف العلوم.[2]

وعلى الرغم من أننا لا نخفي إعجابنا بما قام به الاستشراق في هذا الميدان، فإننا نشير في هذا المكان أنه كثيرا ما أخطأ فيما قام بتقديره، لأن علماءه لم يتمكنوا من النفاذ إلى روح التراث العربي الإسلامي، ومن هنا لا بد من إعادة النظر في كل ما قام الاستشراق بتقويمه من هذا التراث، لأن أحكامه كثيرا ما كانت تصدر على أساس التعصب والافتراء والإنكار، علاوة على الريبة والعداوة أيضا.

بالإضافة إلى تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري، وذلك بالإدعاء أن الحضارة الإسلامية منقولة من حضارة الرومان، ولم يكن للعرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها،

---

[1]– على بن إبراهيم النملة، **إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي** –دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة–، ص24.

[2] – أحمد سمايلوفتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ص712.

ولم يكن لهم إبداع فكري ولا ابتكار حضاري، وكان في حضارتهم كل النقائض، وإذا تحدثوا بشيء عن حسناتها يذكرونها على مصفى، مع انتقاض كبير، وذلك من أجل إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم وذلك ببث روح الشك في كل مابين أيديهم من قيم ومثل عليا، ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم، ونشر ثقافته فيما بينهم، فيكونوا عبيدا لها، أو على الأقل تضعف روح المقاومة في نفوسهم.[1]

وبالتالي يمكن تصنيف اهتمام المستشرقين بالتراث العربي الإسلامي من حيث المقاصد إلى أربع طوائف.

الطائفة الأولى: طائفة قصدت إلى التعرف على أثر الفكر والتراث العربي والإسلامي على الحضارة الغربية.

الطائفة الثانية: تلك التي اهتمت بالتراث العربي الإسلامي للتعرف على مدى تأثير الحضارة الأوروبية عليه.

الطائفة الثالثة: طائفة وقفت موقف العداء للتراث وأهله وحاربته محاربة علنية وسرية.

الطائفة الرابعة: تلك التي كانت منصفة إلى حد ما، لأنها تؤمن أن صناعة الفكر الحضاري مهمة الإنسانية جمعاء.[2]

أما من حيث المنهجية التي اتبعها المستشرقون في دراسة التراث فلم تقتصر على المنهج التاريخي، بل شملت المنهج التحليلي، والمنهج الإسقاطي، ومنهج الأثر والتأثر، ومنهج المطابقة والمقابلة، وقد تجتمع هذه المناهج في دراسة واحدة، أو عند مستشرق بعينه، وقد تفترق، وهي نفسها قد "استخدمها الأوروبيون في مجال الدراسات الإنسانية بصورة عامة، ولأنها تستند إلى المذهب الوضعي

[1] – سعد المرصفي، **المستشرقون والسنة**، ص20.

[2] – على بن إبراهيم النملة، **إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي** –دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة–، ص.ص34–35.

الذي طبقه المستشرقون على الدراسات الإسلامية في القرن التاسع عشر والعشرين، ولم يحيدوا عنه إلى الآن بالرغم من نبذ هذا المذهب في الوقت الحاضر للدراسات الإنسانية."

ولم يخلو منهج المستشرقين من الخلط والخطأ في نقل النصوص ودراستها مما يستحق التنبيه إليه لما فيه من قلب للحقائق، يكاد يكون متعمدا في غالب الأحيان.[1]

لا أحد ينكر جهود المستشرقين في خدمة التراث العربي الإسلامي من خلال أعمالهم القيمة سواء في مجال العلوم أو اللغة أو الأدب والتي ذاع صيتها في العالم العربي والغربي على حد سواء مثل كتاب المستشرق الفرنسي كارل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" وكتاب المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه "شمس العرب تسطع على الغرب" الذي تحدثت فيه عن الحضارة العربية وأثرها في تطوير حضارة الغرب.

اللغة العربية وآدابها في الدراسات الاستشراقية

أ- اللغة العربية

إن إدراك الاستشراق بقوة اللغة العربية وتأثيرها في السير والتقدم جعله يدرس كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد فبحث في فقهها، وأصواتها، وأطوارها، وغزارتها، ومادتها، وفلسفتها، وعلاقتها باللغات الأخرى، وخاصة اللغات السامية، ومميزاتها وعناصرها، وتاريخها، ونقوشها وكل ما أنتجته هذه اللغة حتى يبدو وكأنه قد صب اهتمامه كله عليها، وذلك لصلتها الوثيقة بالإسلام والقرآن والحديث والشريعة على حد سواء.[2] وهذا ما دفع المستشرقين في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي (كان الهدف من ذلك القضاء على الإسلام والعروبة) وتتلخص شبهاتهم فيما يلي:

1 أن اللغة العربية الفصحى لم تعد صالحة والدعوة إلى استخدام العامية واللهجات الدارجة.

---

[1] – على بن إبراهيم النملة، **إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي** –دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة–، ، ص.ص35-36.

[2] –ينظر: أحمد سمايلوفتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، ص184-185.

2 الدعوة إلى استخدام اللاتينية عوضا عن الأحرف العربية.

3 أن اللغة العربية عاجزة عن مسايرة ركب الحضارة الحديثة وأنها تقضي على قوة العرب الإختراعية.

4 أن التخلي الذي أصاب المجتمع الإسلامي سببه قصور اللغة وعجزها ولهذا يجب على أمل العربية أن يتركوا هذه اللغة ويبحثوا عن لغة غيرها.[1]

بالإضافة إلى تشكيك المستشرقين في أصالة النحو العربي والدعوة إلى ترك الإعراب وكان الهدف من هذه الشبهات محاربة الإسلام والعمل على هدم اللغة العربية.

ب- الأدب العربي

لقد اهتم الاستشراق بكل ما يتعلق بالأدب العربي فدرس تاريخه، وتطوره، وقيمته، وأصالته، وعصوره، ونهضته، وتأخره، وازدهاره، وانحطاطه، وانتحاله، وسرقاته، وتأثره، وتأثيره، وأعلامه، وشعرائه، وكتابه، وقد كانت عنايته به أكثر وأشد شغفا وأوسع انتشارا وأصعب دراسة، لأنها محاولة لفهم الشخصية العربية، والإحاطة بها من كل جوانبها، مما يدل على مبلغ أهمية دراسته للفكر العربي عامة والأدب العربي خاصة.[2]

ويرجع اهتمام الاستشراق بالأدب العربي إلى أسباب عديدة أهمها:

1صلة هذا الأدب بالإسلام وكتابة القرآن الكريم.

2 أهميته لدراسة الشخصية العربية وفهمها.

3 أثره في آداب مختلفة ومنها الآداب الأوروبية.

4 منزلته بين الآداب العالمية واستمرار تاريخه.

5 اهتمام النزعتين الرومانتيكية والإنسانية معا بالآداب الأخرى ومن بينها الأدب العربي.[3]

---

[1] – ينظر: محمد أمين حسن محمد بني عامر، **المستشرقون والقرآن**، ص76.

[2] – أحمد سمايلوفتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر** ، ص.ص185-186.

[3] – المرجع نفسه، ص491.

إن المتتبع لأعمال الاستشراق مبتدئة لإنشاء المعاهد والجامعات ثم القيام بالرحلات حتى الآن سوف يتأكد بأن الأدب العربي يمثل لكل من يريد دراسة حياة العرب مشكلة رئيسية لأنه لعب دورا بالغ الأهمية في حياتهم قبل الإسلام وبعده... ومما لا شك فيه أن الأدب شعرا ونثرا يمثل محورا رئيسيا في الحضارة العربية التي أثرت بدورها، ليس في الثقافة الأوروبية فحسب، بل في الثقافات الأخرى، مما يدل على أهمية هذا الأدب للفكر العالمي عامة والفكر الأوروبي خاصة.[1]

ويتبين لنا مما تقدم أثر الاستشراق في أدبنا الحديث، حيث يبدوا هذا التأثير جليا وعظيما، وقد يحكي ذلك في كل مايتصل بالأدب العربي وتاريخية جمعه وتنظيمه، تأثره وتأثيره، وهكذا يتضح لنا جليا أن أبرز النواحي لأثر الاستشراق في الأدب العربي المعاصر تتجلى في:

1 التأريخ للعصور الأدبية.

2 تأليف دائرة المعارف الإسلامية.

3 الفهرسة للمعاجم العربية.

4 البحث في تأثير الأدب العربي.

لقد كان للدراسات الاستشراقية أثر كبير على مستوى الفكر العربي عامة والأدب العربي خاصة.

[1] – أحمد سمايلوفتش، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر** ، ص.ص496-497.

المبحث الثالث: مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية.

إن المناهج التي يتبعها المستشرقون في دراساتهم للإسلام يحاولون إلباسها ثياب العلمية والمنهجية والموضوعية فالمستشرق الألماني رودي بارت:" ... فنحن معشر المستشرقين عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بها قط لكي نبرهن على ضعة العالم العربي الإسلامي، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام، ومظاهره المختلفة، والذي عبر عنه الأدب العربي كتابة، ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء تأخذه المصادر على عواهنه دون أن نعمل فيه النظر، بل نقيم وزنا فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي أو يبدوا وكأنه يثبت أمامه، ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه، وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر لعالمنا نحن، وإذا كانت إمكانات معرفتنا محدودة فإننا نؤكد بضمير مطمئن أننا في دراساتنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة."[1]

وقد لا يبدوا على هذا المنهج غبار من وجهة النظر العلمية، "فالقوم يدرسون العلوم الإسلامية العربية، ويضعون نظريات، ويكونون آراء في أثناء ما يقومون به من دراسات، ويهتمون بتقديم أدلة وأسانيد لهذه الآراء والنظريات، يستمدونها من المراجع الإسلامية نفسها، وهذا العمل في ظاهره عمل علمي سليم، ولكن الفحص الدقيق أثبت أن كثيرا منه مصنوع، وكثيرا ما يكون الدافع إليه الرغبة في التجريح، وتوهين العقيدة الدينية والشريعة الإسلامية."[2]

لو كانت أبحاث المستشرقين تتسم بالعلمية والموضوعية لما قاموا بالمساس بالعقيدة الإسلامية وتشويهها والبحث عن نقاط ضعفها.

---

[1]- رودي بارت، **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**، ص.ص15-16.

[2]- محمود حمدي زقزوق، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ص.ص81-82.

وقد استخدم المستشرقون عدة مناهج في الدراسات العربية الإسلامية منها المنهج التاريخي والمنهج التحليلي والمنهج الإسقاطي ومنهج الأثر والتأثير.

1- المنهج التاريخي

هو عبارة عن وصف وتسجيل ما مضى من وقائع تاريخية أو اجتماعية ووضعها بجوار بعضها البعض وترتيبها ثم الإخبار عنها والتعريف بها باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها، وليس المنهج التاريخي مقتصرا على دراسة علم التاريخ فحسب، بل له استخداماته في مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والمنهج التاريخي ليس منهجا وصفيا فحسب أو لا يقف عند مجرد الوصف، وإنما يدرس ظاهرة ما كالظاهرة السياسية ويحللها ويفسرها على أسس منهجية علمية دقيقة بقصد التوصل إلى حقائق تساعد على فهم الماضي والحاضر.[1]

وعندما طبق المستشرقون هذا المنهج على الحضارة الإسلامية بالدرس والتحليل ظنا منهم أن كل حضارة نشأت بالضرورة على نمط الحضارة الغربية، فعندما يتحدثون عن محمد يقولون: إنه كان تاجرا ميسورا، وعندما يتناولون دعوته يقولون: إنها جاءت للانقضاض على الأرستقراطية القرشية، وعندما يتحدثون عن نضاله وجهاده يقولون: إن لديه أغراضا سياسية يرمي إلى تحقيقها بالقوة المسلحة للوصول إلى السلطة والهيمنة على الجزيرة العربية، وهم عندما يصنفون مفكري الإسلام كابن سينا، والغزالي، وابن رشد، فإنهم يصنفونهم بأنهم أصحاب مدارس كما يفعل الغربيون، وهكذا تراهم يتحدثون عن الرشدية، والسيناوية، والغزالية، والأشعرية.[2]

وعندما يطبق المستشرق هذا المنهج على الظواهر الفكرية الإسلامية تأتي نتائجه غير صحيحة لأنه يحيل كل شيء إلى ظواهر تاريخية، وطبقا لهذا المنهج ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

---

[1] - محمود ماضي، **الوحي القرآني من منظور استشراقي ونقده**، ص.ص32-33.

[2] - ينظر: ساسي سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي –الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية–**، ص167.

ويصنفونه مع حكماء الفرس وذلك عندما يعقدون المقابلات بينه وبين زرادشت وماني، وهكذا يصبح هذا المنهج أداة لمحو نبوة محمد وتفسيرها ضمن النبؤات الأخرى التاريخية، وهو بذلك يقوم على فكرة مسبقة وعلى تمييز حضاري وتعصب ديني.[1]

ولقد كان الهدف من استخدام المنهج التاريخي جمع أكبر قدر من المعلومات عن الحضارة العربية الإسلامية وذلك من أجل خدمة مصالح غير موضوعية.

2- المنهج التحليلي

وهو يعني تفتيت الظاهرة الفكرية إلى مجموعة من العناصر يتم التأليف بينها في حزمة لا متجانسة من العوامل أو الوقائع التي أنشأها، أي أن هذا المنهج يقوم بتفتيت الظاهرة الفكرية وردها إلى عناصرها الأولية كالظروف الاجتماعية، أو السياسية، أو الدينية، فإذا طبق المستشرق هذا المنهج وهو متأثر بمزاجه وثقافته وبيئته ودينه الذي نشأ فيه، فإنه يصل به في الدراسات الإسلامية إلى نتائج غير سليمة.[2]

ومن هنا فإن تطبيق هذا المنهج يؤدي إلى الحكم على الحضارة الإسلامية بالجدب، وعلى الدين بالجمود، وعلى الوحي بالاضطراب والاختلاط، وعلى التوحيد بالتجريد، وعلى العقائد بالقضاء والقدر، وعلى الشعوب بالتخلف.[3]

ويعتبر هذا المنهج منهجا ضامرا ومحالفا لطبيعة الظاهرة الفكرية المدروسة لأنه نابع من عقلية الباحث الغربي وثقافته وبيئته ...الخ، وقد يقوم عامدا أو بدون عمد بالقضاء على أهم ما يميز الحضارة العربية الإسلامية.

---

[1] -ينظر: محمود ماضي، **الوحي القرآني من منظور استشراقي ونقده**، ص.ص 34-35.

[2] - ساسي سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي –الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية-**، ص168.

[3] - محمود ماضي، **الوحي القرآني من منظور استشراقي ونقده**، ص37.

3- المنهج الإسقاطي

يتمثل في خضوع الباحث إلى هواه، وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها لديه بيئته الثقافية المعنية، وعدم تحرره من الأحكام المسبقة التي يكونها على موضوع بحثه سواء أكانت هذه الأحكام عقلية أم انفعالية، ويرى الباحث إلا صورته الذهنية دون غيرها من الصور الفكرية التي ربما تخالف أحكامه المسبقة ويحاول جاهدا إخضاع جميع الصور الأخرى إلى ما ارتضاه لنفسه حتى وإن جانبت الموضوعية العلمية، فالباحث عندما يضع في ذهنه صورة معينة لأفكار معينة وهذه الأفكار لا وجود لها من الناحية الفعلية فإنه يحاول إيجادها في ذهنه ويلتمس لها الحلول والفروض مهما كانت منتسية، وإذا كانت الظاهرة الفكرية موجودة فعلا ولكن لا تصور لها في ذهنه فإنه يحاول نسيها مهما كانت صحة وجودها.[1]

وبتطبيق هذا المنهج على الدراسات العربية الإسلامية فإن المستشرق يسقط تصوره للمسيحية على الإسلام، فتصبح المسيحية المتصورة هي الإسلام في الواقع، والإسلام الحقيقي منسي، لا وجود له، ومن الواضح أن كل حكم نفي يقوم به المستشرق يقوم على نفي لما لا يوجد في ذهنه، وكل حكم إيجاب يقوم على إثبات لما يقوم في ذهنه، ويشير المستشرق الفرنسي بوكاي إلى تطبيقات هذه المناهج لدى بعض المستشرقين بقوله: «إن الأحكام المغلوطة تماما التي تصدر في الغرب عن الإسلام ناتجة عن الجهل حينا وعن التسفيه العامد حينا آخر... وإذا كنا نستطيع أن نغفر لأخطاء خاصة بالتقدير فإننا لا نستطيع أن نغفر لتقديم الوقائع بشكل ينافي الحقيقة.»[2]

ومن أمثلة المنهج الإسقاطي لدى المستشرقين ما أورده بلاشير في سياق البحث عن أسباب عدم جمع القرآن في مصحف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من أنه عليه الصلاة والسلام وأصحابه كانوا يميلون إلى ترك الأمور على ماهي عليه لأن العرب في جملتهم لا يفكرون إلا في

[1] - ساسي سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي –الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية-**، ص169.

[2] - ينظر: محمود ماضي، **الوحي القرآني من منظور استشراقي ونقده**، ص.ص37-38.

الحاضر ولا يهمهم المستقبل، وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهده صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن هذا التفسير الإسقاطي الفاسد لا يستندّ إلى أدنى دليل علمي أو منطق عقلي، إذ من المعلوم أن الرسول صللى الله عليه وسلم كان يحث على حفظ القرآن وكتابته خوفا عليه من الضياع.[1]

بما أن المستشرقين طبقوا هذا المنهج على الدراسات العربية الإسلامية وهو منهج يخضع لهوى الباحث فإن أحكامه تكون تعسفية لا علاقة لها بالموضوعية.

4- منهج الأثر والتأثر

إن تبادل الآراء قديما وحديثا، والتفاعل والتأثير والتأثر بين الناس وبين العلماء سنة اجتماعية لا يمكن إنكارها، لكننا في ضوء هذا المفهوم ننبه إلى أمرين:

1 – استفادة نتيجة التأثر والأثر شيء وإنشاء مذهب مستقل شيء آخر.

2 – أن التأثر ينطبق على الفكر البشري فهذه طبيعته، يؤثر ويتأثر وذلك بمحدودية المعرفة البشرية المحصورة في الحس والعقل.[2]

وقد استخدم المستشرقون هذا المنهج بطريقة مبتسرة بحيث فسروا الوحي الإلهي، والفلسفة الإسلامية، والفقه الإسلامي والسنة النبوية بأنها مستمدة من عوامل خارجية مارست عليها قواعد الأثر والتأثر، وكأن هذه الحضارة مجتمعة نابعة من تطبيق هذا المنهج الذي ينفي كل أصالة للدين الإسلامي، ذلك أن هذا المنهج يقضي على الأفكار الإسلامية قضاء مبرما، فالمستشرقون عندما يطبقون منهج الأثر والتأثر على الفلسفة الإسلامية فإنهم يرجعونها إلى أصول يونانية ولا يقتنعون البتة بأن التفاعل الحضاري يحدث أثره كلما التقت حضارتان مع الاحتفاظ كل منهما بخصائصها المميزة.[3]

---

[1] –حسن عزوزي، **آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية**، ص 38.

[2] – المرجع نفسه، ص.ص 38–39.

[3] – ينظر: ساسي سالم الحاج، نقد **الخطاب الاستشراقي –الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية**–،ص 170.

لقد طبق المستشرقون منج الأثر والتأثر بصورة صارمة، ذلك أن النهضة الأوروبية تأسست على الحضارة اليونانية وهكذا كلما أنشئ مذهب فكري وجد له نظير في الحضارة اليونانية القديمة وقد طبق هذا المنهج على كل التراث الإسلامي وذلك دون الاكتراث بخصوصياته وأصالته.

5- منهج العكس

وهو أن ينظر الباحث في النصوص والوثائق، والروايات، فإذا قالت شيئا، فعليه أن يدرك أن الصواب هو عكسه تماما، يقول ناصر الدين دينيه وهو ينتقد أعمال المستشرقين وأبحاثهم: «إن منهج العكس هو ذلك المنهج الذي يأتي إلى أوثق الأخبار، وأصدق الأنباء، فيقلبها إلى عكسها وكلما كانت الأخبار أوثق بدت الرغبة في البراعة من ذلك الذي يتبع هذا المنهج، ولما كان ينبغي أن يستند إلى دعامة، فقد تبنى هذا المنهج الفكرة التي تقول:"البشر يعملون غالبا على كتمان عيوبهم والظهور بنقيضها" »[1]

وأنكر بعض المستشرقين كثيراً من الإرهاصات والمعجزات،على الرغم من سلامة بعض الآثار الواردة فيها، وصححوا قصة"الغرانيق" التي ضعفها علماء الإسلام، بل حكم بعضهم بوضعها.[2]
ويعد المستشرق لامانس من أكثر المستشرقين اعتمادا على منهج العكس.

6- المنهج الانتقائي

يتم من خلال هذا المنهج إعتماد رأي أو فكرة أيا كان مصدرها، ولو كانت من ناحية أخرى شاذة وضعيفة، بشرط أن تخدم وجهة نظر المستشرق ومبدأه الذي يسعى لتقريره، أو بعبارة أخرى: لا يلتفتون إلا إلى الصورة التي تتفق مع موقفهم غير الموضوعي من الإسلام، يقول مكسم رودنسن ناقدا الباحثين الغربيين: «ينتقون ما يرونه بعناية، ويتجاهلون كل ما لا ينسجم مع الصورة التي كونوها. »[3]

---

[1] – عبد العظيم الديب، **المنهج عند المستشرقين**، ص366.

[2] – ثائر الحلاق، **مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام دراسة وصفية تحليلية**، العدد 24، 2012، ص277.

[3] – المرجع نفسه، ص.ص 290-291.

وقد عرف عن كثير من المستشرقين في كتاباتهم حول السيرة النبوية الشريفة وحول التاريخ الإسلامي أنهم ينتقون بعض الأحداث والقضايا ويكتبون عنها ويهملون غيرها كما أنهم يشككون في أمور من المسلمات في التاريخ الإسلامي وذلك لإثارة الشكوك في معطيات السنة والتاريخ ومن الصور الانتقائية عندهم:

- الانتقائية في المصادر والروايات والأخذ والرد منها بما يتناسب مع النتائج المقررة لديه.
- البحث على الضعيف والشاذ من الروايات ويركزون على الأخذ من الكتب التي تجمع الروايات المختلفة أو الضعيفة دون بيان لصحتها فينتقون منها ما يوافق أهوائهم.
- اعتماد المصادر غير الموثوقة لدى المسلمين أو الرجوع إلى مصادر غير متخصصة.
- النفي والافتراض والمبالغة في التشكيك غير المنهجي فنجدهم يكثرون في كتبهم استخدام "يصعب تصديق ذلك" و"إذا أمكن قبول هذه الرواية" و"مما يدعو إلى الشك" وغيرها من عبارات الشك والنفي واتهام المصادر الإسلامية.
- الاهتمام بالفرق والأقليات وأخبار الصراعات والبحث عن الوثنيات والتاريخ السابق لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بهدف تشويش الحضارة الإسلامية، وتمجيد أهل الضلال والبدع.[1]

7- منهج الشك والافتراض

بمقتضى هذا المنهج يشك الباحث في الواقعة التاريخية، أو ينفيها إذا اقتضى الأمر من غير أن يقدم دليلاً على ما ذهب إليه، ويقابل ذلك افتراض وقائع واستنتاجات معينة، ففي الحالة الأولى يشكك فيما هو أقرب إلى الحق، بينما يصدق في الحالة الثانية ما هو أقرب إلى الباطل، ويكثر هنا من استعمال "ربما" و"نستطيع أن نفترض" و"لعل" و"الاحتمال الأقرب".[2]

[1] -ينظر: خالد القاسم، **مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام**، إعداد أمجاد الربيعة، 18 ديسمبر 2014.

[2] - ثائر الحلاق، **مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام دراسة وصفية تحليلية**، ص297.

لقد انساق المستشرقون المعاصرون مع أسلافهم في إتباع منهج الشك والمبالغة في إثارة الشكوك حول الوقائع التاريخية الثابتة والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه، واعتمدوا في ذلك على عملية الانتقاء بطريقة مغرضة وهادفة إلى ما يصبون إليه من نتائج عكسية كما أن عدم ثقتهم في صحة النص القرآني دفعهم إلى الشك في أمانة نقله وسلامة تبليغه إضافة إلى الشك في جمعه وترتيبه وهكذا يدعي الكثير من المستشرقين أن النص القرآني الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قد نالته بعد إفضائه به إلى الناس تعديلات بالزيادة والنقصان خاصة في صورته المكتوبة.[1]

فلقد شكك المستشرقون في صحة القرآن الكريم ومصدره كما نجد المستشرق نودلكه الذي ينفي أن تكون فواتح السور من القرآن الكريم مدعيا أنها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأوائل.كما شكك بلاشير في تاريخ الهجرة إلى الحبشة وقال أنه غير مضبوط، وفي جانب آخر فقد شكك بعضهم في أصالة الأدب الجاهلي كما شككوا في صحة الأنساب الواردة في المصادر العربية القديمة، كما شككوا أيضا في الحفظ والرواية الشفهية، بالإضافة إلى عدة شكوك وافتراضات لا واقع لها من الصحة.

8- منهج الهدم والبناء

وهو أن يقوم المستشرق بالإطراء على الظاهرة التي يدرسها، أو على جوانب ثانوية منها، ثم يأتي دور الهدم، حيث يجرد تلك الظاهرة من أهم مقوماتها وأركانها على نحو يؤدي إلى سقوطها أو يكاد، فالمفكر الفرنسي غوستاف لوبون Lebon سطَّر في كتابه (حضارة العرب) أفكاراً صحيحة ومعتدلة عن الإسلام، وأشاد كثيراً بكتابه ونبيه ثم ما لبث . بعد جملة وافرة من الثناء . أن رمى النبي صلى الله عليه وسلم بالصرع والهوس، حيث قال: " ويجب عدّ النبي محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية، كأكبر مؤسس الديانات....فلم يكن ذوو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشئون الديانات ويقودون الناس، وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا هذا الدور.... وهم الذين أقاموا الأديان،

[1] – حسن عزوزي، **آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية**، ص.ص15-16

وهدموا الدول، وأثاروا الجموع، وقادوا البشر، ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم، لكان للتاريخ مجرى آخر"، ثم يجعل القرآن من شواهد عبقريته، وهو دون كتب الهندوس قيمة، وينكر شموليته وأنه مؤقت بعصره، فلا يحقق حاجات الفرد في عصور لاحقة، بل يجعله سبب تخلف المسلمين.[1]

9- منهج النــفي

يعتبر هذا المنهج معلما بارزا في كثير من أبحاث المستشرقين التي تتناول المرويات الصحيحة المرتبطة بالدراسات القرآنية وعلوم القرآن على وجه الخصوص، إنهم ينفون العديد من الروايات والمأثورات لهذا السبب أو ذاك، بينما نجدهم يتشبثون بكل ما هو ضعيف شاذ، ويشير أحد أبناء جلدتهم وهو المستشرق الفرنسي أميل درمنغهم Emile Dermenghem إلى هذا الأمر قائلا: " من المؤسف حقا أن يكون قد غالى بعض هؤلاء المتخصصين من أمثال موير ومرجليوت ونودلكه وسبرنجر ودوزي وغريم وجولدزيهر وغيرهم في النقد أحيانا فلم تزل كتبهم عامل هدم ونفي على الخصوص، ولا تزال النتائج التي انتهى إليها المستشرقون سلبية وناقصة..."

إن منهج النفي يهدف إلى نفي الحقائق القرآنية والوقائع التاريخية المرتبطة بنزوله وجمعه وغير ذلك، ويتم ذلك من خلال إثارة الشكوك والمبالغة في النقد إلى حد الإلغاء والنفي الكيفي لكل ما يتعارض مع وجهات النظر الاستشراقي.[2]

إن اعتماد المستشرقين على الروايات الضعيفة التي لا تتناسب مع الوقائع الصحيحة فيدخلون الشك في النفوس من خلال المبالغة في نقد الصحيح لدرجة نفيه وذلك خدمة لأرائهم وأهوائهم.

[1] -ينظر: ثائر الحلاق، **مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام دراسة وصفية تحليلية**، ص.ص303-304

[2] - حسن عزوزي، **آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية**، ص.ص44-45.

10-منهج المطابقة والمقابلة

استخدم المستشرقون منهج المطابقة والمقابلة في دراسة النصوص الإسلامية، وقد برعوا في هذه الناحية وأجادوا فيها إجادة لا نستطيع أن ننكرها، حيث عرفوا العديد من اللغات، واطلعوا على آلاف المخطوطات، واكتشفوا المئات من النقوش والآثار، فاستخدموا منهج المقابلة والمطابقة بين هذه النصوص المجمعة، وحاولوا التوفيق بينها، كما برعوا في الدقة في الترجمة وتحقيق النصوص وإرجاعها إلى مصادرها الأصلية، ولكن هذه الطريقة لم تسلم من الخطأ فإن غالب المستشرقين قد رسخت في أذهانهم فرضيات علمية وأحكام مسبقة وهم يحاولون إثباتها دائما وتطويع النصوص واستقرائها للبرهنة على صحتها. [1]

هذه أهم المناهج العلمية التي استخدمها المستشرقون لدراسة الحضارة العربية، وذلك بتطبيقها في دراساتهم حيث تظهر صورها جليا في مختلف كتاباتهم وكتبهم، ولم يكن اهتمامهم بالتراث من أجلنا نحن المسلمين بل من أجلهم لكي يصلوا إلى غايتهم وهي تشويه الدين الإسلامي.

بعد دراسة مناهج المستشرقين يمكن الخلوص إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

أولا: جهل المستشرقين للغة العربية يشكل عائقا أمامهم في الوصول إلى فهم وإدراك مجازاتها وأسرارها وألفاظها ومعانيها، خاصة حينما يتعلق الأمر بفهم النص القرآني، والوصول إلى فهم حقيقي للآيات.

ثانيا: انعدام الخلفية الثقافية للمستشرقين المتعاملين مع الدراسات الإسلامية وذلك لأنهم تتلمذوا على مصادر ثانوية لا تفي بإعطائهم مرادهم في التزود بالثقافة المطلوبة، وربما كانت سببا في إبعادهم عن المنهج العلمي الصحيح.

ثالثا: إن تحامل المستشرقين على الإسلام غريزة موروثة تقوم على المؤثرات التي خلفتها الخروب الصليبية في عقول الأوروبيين مما أوقعهم في دائرة الصراع العرقي والديني مع المسلمين، حيث بقي

[1] -ينظر: ساسي سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي –الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات** الإسلامية-، ص171.

المستشرقون عاجزين عن تحرير أنفسهم من هاته الخلفية، والتي تتمثل في تشويه صورة الإسلام وتحريف الفكر الإنساني.

رابعا: الخضوع للأهواء والميول للذاتية في دراسة المستشرقين للإسلام حيث جردوه من أي سمة إبداعية أصيلة، وحكموا عليه اعتمادا على قيمهم ومقاييسهم الخاصة.

خامسا:عند التأمل في دراسات المستشرقين وأبحاثهم وكتبهم نجد أنهم قد أكثروا من استخدام صيغ الشك مثل: (من الممكن، يبدوا، لعله...) في التعبير عن الحقائق التاريخية والدينية.

سادسا: تجزئة المستشرقين للأمور وغياب النظرة الكلية في الحكم على الأشياء، خاصة عند الحديث عن الأمور الفقهية، فهم يميلون إلى رأي دون اعتبار بقية الآراء كالميل إلى مذهب وإغفال البقية وعدم الالتفات إلى المشهور والمتفق عليه من الآراء والتركيز على ما ضعف منها وذلك بغية تحقيق أغراض معينة.

سابعا: إن محاولة المستشرقين إلى تزوير الوقائع التاريخية وإيراد أحاديث ونصوص تفسيرية ونسبتها إلى غير قائلها في محاولة للوصول إلى تشويه متعمد للحقيقة العلمية، وإثارة بعض القضايا العقدية التي شغلت المسلمين واضطرتهم إلى اتخاذ موقف الدفاع عن الإسلام ضد منتقديه وخصومه.[1]

ينبغي أن لا ننكر تلك الجهود الكبيرة للمستشرقين من خلال مساهماتهم في تحقيق عدد مهم من كتب التراث الإسلامي ونشرها بلغاتهم، فضلا عن عدد وافر أيضا من الدراسات التي كشفت جوانب مهمة من تراثنا، ويجب أن نكون واعين وأن لا ننخدع بما قد يظهره بعض المستشرقين من تعاطف بالغ مع القضايا الإسلامية.

[1]-ينظر: فتح الله الزيادي، **الاستشراق أهدافه ووسائله، –دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون–**، ص.ص 115-124.

المبحث الأول:الرؤية الاستشراقية لزيغريد هونكه.

تاريخ أوروبا ليس تاريخا لهذا العالم.

لقد تناولت الكاتبة زيغريد هونكه في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" فضل العرب على الحضارة العربية خاصة، والحضارة الإنسانية عامة، حيث بدأت كتابها بمدخل استهلته بقولها:« لم يعد العالم مقتصرا على أوروبة وحدها، كما وأن التاريخ الأوروبي لم يعد في الوقت الحاضر التاريخ العالمي وحده، ذلك أن شعوب قارات أخرى قد اعتلت المسرح العالمي. ففي الوقت الذي كانت تسعى فيه أطراف الأرض جميعا إلى رسم خطوط مسرحية العالم، دون أي وشيجة سابقة تربط بينها، تعود بنا الذكرى دائما على الدوام إلى "خارطتنا للعالم" في القرون الوسطى التي تصور أوروبة دائرة يلفها البحر العالمي، وتتوسطها بلاد الإغريق من جهة ورومة من جهة ثانية، فردوسا لها ومركز إشعاع.»

وتواصل حديثها قائلة:«إن تاريخ العالم، بل وتاريخ الآداب والفنون والعلوم لا يبدأ إلا بمصر القديمة وبابل بدءا خاطفا سريعا ثم يتوسع ويتشعب ببلاد الإغريق ورومة، مارا مرورا ببيزنطية، ومنتقدا إلى العصور الوسطى المسيحية، لينتهي آخر الأمر بالعصور الحديثة، ولم يكن هناك أحد ليمنح أوروبة ما قبل العصور الوسطى أي اهتمام، أو ليمنح الأحداث التي جرت في العالم خلال تلك العصور أي أهمية أيضا.»[1]

فهنا توضح لنا هونكه أن للحضارة العربية الإسلامية دور في بناء الحضارة الإنسانية، أي أن تاريخ العرب هو تاريخ الإنسانية، وليس تاريخ أوروبا تاريخا لهذا العالم كما يدعي بعض الأوروبيين.

فلو استقرأنا حالة الأوروبيين العامة قبل أن تسطع حضارة الإسلام على ديارهم وشعوبهم، لرأيناها في المنحدر الأسفل فكرا وخلقا وعلما، حيث يصف "صاعد الأندلسي" سكان الأقطار

[1] – زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، نقله فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط8، 1993، ص. ص11-12.

الأوروبية فيقول: «إنهم أشبه بالبهائم منهم بالناس، لأن من كان منهم موغلا في بلاد الشمال فظُعَت أبدانهم، وابيضت ألوانهم وأسدلت شعورهم، فعدموا بهذا دقة الإفهام، وثقوب الخواطر، وغلب عليهم الجهل والبلادة، وفشى فيهم العمى والغباوة...»[1]

ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا لا تزال تضطرب في العصور الوسطى وكان الجهل يخيم في أرجائها حيت أن 95 %من سكان أوروبا من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر لا يستطيعون القراءة والكتابة، باستثناء الكهنة ورجال الدين، في نفس الوقت كان المسلمون قد بسطوا نفوذهم على معظم بقاع العالم المتحضر القديم، من حدود الصين إلى جبال البرانس، وأفادوا من فلسفة اليونان ومن ثقافة الفرس والهند والصين والثقافة العربية الأصيلة، وأقبلوا عليها وتولوها بالرعاية والعناية والبحث والدرس، والتصحيح والتهذيب، وأضافوا إليها الكثير من أفكارهم وابتكاراتهم حتى بلغت غاية نضجها واكتمالها.[2]

وتؤكد هونكه أن هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء والتي بدأت من اللاشيء لهي ظاهرة جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني، وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة في هذا العصر لفريدة في نوعها لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها، وأن ما حققه العرب لم تستطع أن تحققه شعوب كثيرة أخرى كانت تمتلك من مقومات الحضارة ما قد كان يؤهلها لهذا.[3]

فلقد أتيحت للغرب قبل العرب بمائتي سنة فرصة إعادة بناء حضارته على ما تبقى له من أنقاضها، وبرغم هذا فإن عشرة قرون كاملة قد مرت قبل أن يتمكن من أن يخلص نفسه من زمرة الشعوب المتأخرة، وقد كانت فرصتهم أكبر في أن يأخذوا التراث الإغريقي العظيم ويتطوروا به

[1] – عبد الله ناصح علوان، **معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، د.ب، د.ط، د.ت، ص 53.

[2] – ينظر: أبو زيد شلبي، **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، ص327.

[3] – ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص354.

درجات في سلم الرقي، فقد كان في متناولهم عدد ضخم من نصوص القدماء أكبر من أن يقارن بما استطاع العرب أن يتوصلوا إليه، لكن الفكر الإغريقي ظل بالنسبة إليهم غريبا على الدوام، فقد كان يمثل للمسيحيين شبحا ملعونا فلم يقتربوا منه بل حطموا جزءا كبيرا من تراثه وحرموا منه البشرية.[1]

ومن هنا يتضح لنا أن رجال الدين كانوا يعتبرون قراءة الكتب العلمية أو الأدبية خطيئة لا تغتفر، وجعلوا الحرق جزاءا لمن يخرج عن معتقدات الكنيسة.

كما تشير هونكه إلى أن الغرب بقي في تأخره ثقافيا واقتصاديا طوال الفترة التي عزل فيها نفسه عن الإسلام ولم يواجهه، ولم يشهد العالم الغربي ازدهارا وتطورا إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيا وعلميا وتجاريا، واستيقظ الفكر الأوروبي على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته الذي دام قرونا ليصبح أكثر غنى وجمالا وأوفر صحة وسعادة، فكل موجه علم أو معرفة فقدمت إلى أوروبة في ذلك العصر كان مصدرها البلدان الإسلامية.[2]

ومن أقوال "غوستاف لوبون" في كتابه "حضارة العرب": « ولا نرى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب فجميع الأمم التي كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ولو حيينا من الزمن... ولم يتجلى تأثير العرب في الشرق في الديانة، و اللغة، والفنون... وحدها بل كان لهم الأثر البالغ في ثقافتهم العلمية أيضا. »

ونقل عن الأستاذ "ليبري" قوله: «... لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون... »[3]

لقد أسهمت الحضارة الإسلامية في بناء الحضارة الإنسانية في مختلف المجالات فقد أنشأ العرب المعالم العمرانية والمعرفية، تمثلت في بناء مدن كبيرة مزدهرة لم يكن لها نظير على وجه الأرض، كما

[1] – ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، 359 -371.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص541.

[3] – عبد الله ناصح علوان، **معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية**، ص58.

قاموا بإحياء العلوم المختلفة كالطب والكيمياء والرياضيات ....إلخ، على عكس الحضارة الأوروبية التي كانت غارقة في بحر جهالتها.

الخلفيات التي دفعت أوروبا إلى التنكير بفضل الحضارة العربية

بينما كانت أوروبا تعيش في ظلمات الجهل والهمجية خرج العرب من شبه الجزيرة العربية لنشر لواء الإسلام، وكان التوسع الإسلامي وسيطرة العرب على البحر المتوسط ووجودهم كافيا للتأثير على أقدرا الغرب، وكان من نتيجة ذلك انتقال مركز الثقل إلى الغرب من البحر المتوسط حتى المنطقة الواقعة حول الراين والسين، مما دفع الكنيسة إلى الكراهية والتعصب ضد الإسلام، حيث كانت الكنيسة تراقب تأثير القيم الإسلامية على القيم المسيحية تأثيرا تدميريا، ولقد كان هذا الخوف هو الذي استغلته الكنيسة لتمهيد المناخ للحروب الصليبية التي هاجمت بلاد الإسلام .[1] وذلك لعدة أسباب.

1-سبب الديني

إن وجه العداوة بين أوروبا والعرب المسلمين هي عقائدية دينية وعداوة بين القساوسة والدين الجديد، فهم يطلقون على المسلمين اسم المحمديون نسبة إلى الذين يتبعون محمدا ويؤمنون به، ولقد شاع قبل ذلك بقرون لفظ السراسنة على المسلمين في الغرب.[2]

ففي السابع والعشرين من نوفمبر علم 1095 ميلادي كليرمونت بفرنسا قام البابا أوربان الثاني بدعوة كافة فرسان الغرب إلى حمل الصليب والزحف إلى تحرير بيت المقدس زاعما أنه قد تخرب وتهدم، أما هدف البابا الرئيسي هو رأب صدع الكنيسة المنشقة، وتوحيد الكنائس تحت زعامته.[3]

[1] – ينظر: زيغريد هونكه، الإبل على بلاط قيصر، نقله د. حسام الشيمي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، **2001**، ص**37–40**.

[2] – ينظر: زيغريد هونكه، الله ليس كذلك، تر: غريب محمد غريب، دار الشروق، د.ب، د.ط، د.ت، ص .ص11-12

[3] – ينظر: زيغريد هونكه، الله ليس كذلك ، ص.ص 15 -19

بالإضافة إلى إشاعات أخرى روج لها دعاة الحروب الصليبية، حيث ادعت القوى السياسية في أوروبا بسوء أحوال المسيحيين في البلاد الإسلامية، وسوء معاملة المسلمين للحجاج المسيحيين، وكان ملوك أوروبا وأمراؤها قد أثاروا هذه الأمور، غير أن البابا أوربان الثاني كان له الأثر الأكبر في إثارة روح التعصب ضد المسلمين، والإدعاء بضرورة إنقاذ المسيحية من الإسلام في بلاد الشرق.[1]

2 -سبب الاقتصادي

كانت أوروبا تعاني من سوء الأوضاع الاقتصادية كما تعاني من المجاعات لاسيما في فرنسا، وكثرة الحروب بين الإقطاعيين، مما أفرز الكثير من المعدمين والفقراء، أضف إلى ذلك أن جمهرة من التجار الإيطاليين لاسيما تجار البندقية وجنوى وبيزا، كانوا يشجعون على قيام الحروب في الشرق لأهداف تتعلق بمصالحهم الاقتصادية، والتجارية، وقد أكد هؤلاء التجار أن تشجيعهم لقيام الحروب لم يكن خدمه للصليب أو حربا ضد المسلمين وإنما لتحقيق مصالحهم الاقتصادية بوسائل عسكرية.

3-سبب الاجتماعي

كانت طبقة رجال الدين وطبقة النبلاء، والفرسان والمحاربين من الطبقات الأساسية والحاكمة في المجتمعات الأوروبية التي كانت تستغل الطبقات الدنيا كطبقة الفلاحين الذين كانوا يعيشون حياة ملؤها التعاسة والشقاء في ظل الاستغلال الإقطاعي، وقد رأت هذه الطبقات الدنيا في الدعوة للحملات الصليبية متنفسا لها للخلاص مما تحيا فيه من ذل وعبودية.[2]

وقد لعبت الحروب الصليبية دورا كبيرا في إنكار الأوروبيين فضل العرب، باعتراف كتابهم أنفسهم، فقد رأى بعضهم أن أتباع محمد ظلّوا من أشد ما عرفت أوروبا من أعدائها بأسا ورهبة، سواء في زمن شارل مارتل والحروب الصليبية، أوفى زمن فتح القسطنطينية وتهديد أوروبا بالاجتياح،

[1] – حسان حلاق، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1999، ص.ص377-378.

[2] – ينظر: – حسان حلاق، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية** ، ص378

وأنهم عندما كفوا عن تهديد أوروبا بالسلاح، ظلّوا يذلونها بأفضلية حضارتهم، وبذلك أخذت تتراكم أسباب الخوف أو الشعور بالنقص في نفس الأوروبيين إزاء العرب حتى أقل نجم حضارة العرب، ولمع نجم حضارة الأوروبيين، وكان عليهم أن يذيقوا العرب من نفس الكأس التي جرعوها لهم .[1]

بانتشار الإسلام وتناقص المساحات التي كانت تحت سيطرة الكنيسة في أوروبا بسبب التوسع الإسلامي واعتناق المسيحيين للدين الجديد وذلك لسماحته، مما دفع رجال الكنيسة إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين عن طريق ترجمة القرآن بصورة مشوهة، وقد بقيت هذه الصورة راسخة في أذهان الأوروبيين إلى يومنا هذا.

حصر الأوروبيين دور العرب الحضاري بدور ساعي البريد

حاول بعض الأوروبيين غمط الحضارة العربية حقها فأصبح إنكار فضل العرب على أوروبا من تقاليد مؤرخيها حيث تقول هونكه في مقدمة كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب": أن العرب قد نقلوا كنوز القدامى إلى بلاد الغرب، إن هذه العبارة الوحيدة التي يحاول فيها الكثيرون وادعاء تقريظ ما قد أسدوه لأوروبة، تحدد للعرب في الواقع، دور ساعي البريد فقط، فتقلل من قدرهم حين تطمس الكثير من الحقائق وراء حجب النسيان.[2]

كما تشير أيضا في كتابها "الله ليس كذلك" إلى المؤلف أرفور كوسيلر في مؤلفه "قصة نشوء معرفتنا العالمية- السراس في نعاسهم!"حيث يورد في مؤلفه النظرة السائدة: «لم يكن العرب سوى وسطاء، حفظه نقلة رواة للتراث، ولم يمتلكوا سوى قدر ضئيل من الآثار العلمية والقدرة الإبداعية، وعندما كانوا وحدهم حراس ذلك الكنز، لم يقوموا بجهد يذكر للإفادة منه وهم كذلك لم يشجعوا

[1] - ينظر:عبد العظيم رمضان، **الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية**، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص.ص12-13.

[2] - زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص 12.

العلم النظري، وإنها لحقيقة جديرة بالملاحظة أن ذلك الاحتكار العربي –اليهودي– الذي دام قرنين أو ثلاثة قرون، ظل عقيما.»[1]

إن الرد على هذه الإدعاءات يسير، وهو أن العرب في الحقيقة لم يكتفوا بنقل علوم الأقدمين من اليونان والرومان إلى اللغة العربية، بل درسوها وشرحوها وفسروا ما غمض منها، وأضافوا إليها من حضارتهم وحضارات الأمم الأخرى التي اتصلوا بها، فمزجوا بين الآراء اليونانية والآراء الهندية في الرياضيات، وقدموا الفلسفة اليونانية إلى العالم الحديث مدروسة مشروحة، ففتحوا أمام التفكير الأوروبي أفاقا جديدة، وحرروا العقل الأوروبي من القيود التي كانت تفرضها عليه الكنيسة من معتقدات، ولولا العرب ما عرف العقل الأوروبي الحديث العقل اليوناني والهندي والصيني، ولو لم ينقل العرب تلك العلوم لتوقف سير التمدن والعلوم عدة قرون.[2]

فبعد حرق مكتبة الإسكندرية التي كانت تحوي قرابة مليون مخطوطة من العلوم الإغريقية، على يد القيصر فالنس، الذي قام بحرق كتبها وتشريد علمائها واتهامهم بممارسة السحر والشعوذة، فبعد دخول العرب للإسكندرية انطلق العربي المسلم فاهما دينه: "يطلب العلم من المهد إلى اللحد" وسعى سعيا حثيثا يجمع شتات المخطوطات التي حَوَتْ علم الإغريق مما أُفلت من الحرق، فجد العرب في التنقيب والبحث وجمع ما تبقى وترجمته تهذيبه وشرحه ومراجعته والتعليق عليه، فلا الروم ولا البيزنطيون ولا فرق النصارى سواء الأقباط والنفاطرة، أو القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح هم الذين سعوا إلى إنقاذ حضارة إغريقية هلينيت، كان بعضها قد أُبيد إبادة تامة على أيدي متحمسي النصارى، وكان بعضها الآخر قد أنسى فريسة الإهمال، موشكا على الاندثار كما زالت حضارات المايا والأنكا.[3]

---

[1] – زيغريد هونكه، **الله ليس كذلك**، ص 79.

[2] –ينظر:عبد العظيم رمضان، **الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبي**ة، ص 15.

[3] – ينظر: زيغريد هونكه، **الله ليس كذلك**، ص.ص 74-78.

وتؤكد هونكه أن ما قام به العرب لهو عمل إنقاذي له مغزاه الكبير في تاريخ العالم، وإن حضارة قد هوت وتحطمت وكانت على وشك الفناء أمام أعين خالقيها، فما بقي من أعين هذه الحضارة يجب أن تَشكر عليه البشرية اليوم العرب وحبهم للعلم، ولا يعود لبيزنطية فيه إلا فضل قليل، فلقد طور العرب بتجارتهم وأبحاثهم العلمية، ما أخذوه من مادة خام عن الإغريق، وشكلوه تشكيلا جديدا، فالعرب في الواقع هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة.

وتضيف هونكه أن العرب هم الذين أسسوا الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعية والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع، وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلوم.[1]

مهما أنكر الأوروبيون فضل الحضارة العربية عليهم والتذرع بأن العرب ليسوا أكثر من نقلة للحضارة اليونانية والرومانية، إلا أن الحقيقة تبقى أن الحضارة العربية أعظم حضارة شدتها البشرية في القرون الوسطى، بالرغم من كل هذه الإدعاءات كان هناك فئة من المستشرقين الأوروبيين الذين أشادوا بفضل المسلمين وحضارتهم التي لا يمكن إنكارها.

دعوة هونكه الأوروبيين إلى الاعتراف بفضل العرب على الغرب

تدعو المستشرقة زيغريد هونكه الأوروبيين إلى الاعتراف بفضل العرب على الغرب حيث تقول: «إنها سُبَّة أن يعلم أهل العلم من الأوربيين أن العرب أصحاب نهضة علمية لم تعرفها الإنسانية من قبل، وأن هذه النهضة فاقت كثيرًا ما تركه اليونان أو الرومان، ولا يُقدِّرون هذا، إن العرب ظلوا ثمانية قرون يشعُّون على العالم علمًا وفنًّا وأدبًا وحضارةً، كما أخذوا بيد أوروبا، وأخرجوها من الظلمات إلى النور، ونشروا لواء المدنية أنَّى ذهبوا في أقاصي البلاد ودانيها، سواء في آسيا، أو إفريقيا، أو أوروبا، ثم تُنكر أوروبا على العرب الاعترافَ بهذا الفضل»[2]

[1] – ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.ص 377-401.

[2] – ينظر: www.alukah.net/literature_language/0/79281

ولقد أصر الغرب إصرارا على دفن حقيقة العرب في مقبرة الأحكام المتعسفة والافتراءات الجماعية دفنا، وأهال عليها ما أهال طمسا منه لمعالمها، وعلى الرغم من محاولاتنا إلا أنه قد استقر في أذهان السواد الأعظم من الأوروبيين الازدراء الأحمق الظالم للعرب، وقد أخذنا على عاتقنا أن نخرج إلى النور أهم الإنجازات والتأثيرات العربية ذات الفضل على العلوم والفنون في أوروبا...[1]

وتقول في مقدمة كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب":«لم يكن، من قبيل المصادفة بتة أن أكتب أنا السيدة الألمانية هذا الكتاب، فقد أردت أن أكرم العبقرية العربية وأن أتيح لمواطنيّ فرصة العودة إلى تكريمها، كما أردت أن أقدِّم للعرب الشكر على فضلهم، الذي حرمهم من سماعه طويلا تعصُّبٌ دينيٌّ أعمى وجهلٌ أحمق»[2]

كما تبين ضيق أفق الأوروبيين قائلة:«... إن نظرة القرون الوسطى هذه لم تمت بعد، إذ أنه مازالت حتى يومنا هذا، جماعة محدودة الآفاق بعيدة عن التسامح الديني تبني الحواجز في وجه النور، ولو بطريقة لا شعورية نابعة من تصرف غائص متشعب الجذور في أنفسهم إزاء أناس جعلت الدعاوة منهم أباليس مجرمين بشعين، وعبدة أوثان وفنانين مزورين، ولم يكن ليحصل كل هذا لولا أن الآفاق قد بدأت في الانقشاع شيئا فشيئا ولو أن حكما عادلا قد أخذ مجراه، ولعل مصيرنا سيتعلق بمصير العالم العربي الذي سبق له أن غير يوما ما صورة عالمنا بشكل جذري.»[3]

ومن خلال هذه الأقوال تدعوا هونكه الأوروبيين إلى تخطي ما مضى والاعتراف للعرب بفضلهم في رقي وازدهار الحضارة الغربية.

[1] – ينظر: زيغريد هونكه، الله **ليس كذلك**، ص.ص7-8.

[2] – زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص9.

[3] – ينظر: المصدر نفسه، ص.ص12-13.

المبحث الثاني: فاعلية الحوار الحضاري بين الأوروبيين والعرب.

لقد بدأت العلاقة بين العرب والغرب قديما بعد ظهور الإسلام وانتشار الفتوحات الإسلامية حيث احتك الغرب بالعرب وحضارتهم وذلك عن طريق الرحلات والتجارة والترجمة ...الخ التي لعبت دورا كبيرا في نقل الثقافة العربية إلى شعوب أوروبا.

طريق الأندلس

لم تكن بلدان شمال اسبانيا على صلة بالأندلس في الجنوب فحسب بل كانت أيضا على صلة دائمة ببلدان أوروبة سياسيا وتجاريا، ولم تكن البرانس لتمنع تلك الصلات، ومن هنا وجدت الحضارة العربية الأندلسية طريقها إلى الغرب.[1]

حيث كانت الأندلس تثير بحضارتها وعلومها وفنونها اهتمام الأمم الأوربية، وكانت جامعاتها المزدهرة مقصد طلاب العلم من كل مكان، وكانت مدارس الترجمة الأندلسية وبخاصة مدرسة طليطلة تقوم بعملها المنظم في نقل ثمار العلوم الإسلامية إلى اللغة اللاتينية، التي كانت لغة العلم في سائر أنحاء أوربا، والتي ظلت لغة التخاطب عند الأغلبية الساحقة من أهالي اسبانيا وان كانت العربية هي لغة العلم وإدارة، وبدأت منذ ذلك الحين مساهمة الحضارة العربية في تكوين حضارة أوربا وقد امتدت هذه المساهمة نحو ثلاثة قرون وكان لها أثرها الواضح العميق.[2]

ومن دروب تسرب الحضارة الأندلسية إلى الغرب، احتكاك ملايين الحجاج المسيحيين والاوروبيين الزاحفين من كافة أرجاء أوروبة في طريقهم إلى مدينة سنيتياجو وهي مدينة مقدسة، كانت ملتقى

[1]- زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.531

[2]- ختام راهي مزهر، **التأثير الغربي الإسلامي على الغرب الأوروبي الأندلسي وصقيلية إنموذجا**، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، العدد4، 2008، ص 225.

الحجاج الأوروبيين بالحجاج المسيحيين الذين استوعبوا الكثير من عناصر الحضارة الأندلسية علاوة على التجار العرب، الزاحفين إلى المحفل الديني بغية المكاسب التجارية.[1]

إن فضل عرب الأندلس في الحقبة العربية الإسلامية لا يقتصر على ما قدموه إلى أوربا وسائر العالم من إبداعاتهم الأدبية وإنجازاتهم العلمية في تلك الربوع، بل تعدى ذلك إلى التفاعل العلمي والتمازج الثقافي.

الرحلات

لقد حث الإسلام على الرحلة و الترحال كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتأمل في دراسة المخلوقات وعجائبها لتعرف على قدرة الخالق وكان يرى أن المعرفة تنير طريق الإيمان مرددا عليهم: «أطلبوا العلم ولو في الصين.»[2]

ولقد كان العامل في ازدهار الرحلات هو اندفاع المسلمين إلى نشر الإسلام في مختلف بقاع العالم من اسبانيا إلى الهند والصين وبلاد البحر الأبيض المتوسط وبلاد الشام. والعراق...، وبهذا تعرف العرب على ثقافات متنوعة، أفادوا منها ومزجوها بثقافتهم العربية حيث تقول هونكه: «وهم في احتكاكهم بحضارات الهند وفارس والصين يصادفون بين الحين والآخر قطعا متناثرة من حضارات الإغريق أو الإسكندرية، ولكن كل ما كانوا يجدونه من آثار تلك الحضارات العظيمة كان لا يشفي غلتهم، لقد ذاقوا حلاوة العلم فازداد شوقهم إلى البحث عنه، ولم يعودوا يرضون بغير العلم والبحث بديلا.»[3]

[1] – زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص 532.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص369.

[3] – المصدر نفسه، ص.ص373-374.

ولقد تنوعت الرحلات العربية بتعدد أسبابها، فهناك رحلات دينية، و رحلات استكشافية، بالإضافة إلى الرحلات التجارية.... وغيرها، ومن أهم الرحالات رحلة محمد بن موسى، سلام الترجمان، رحلة ابن بطوطة، رحلة ابن بطلان....إلخ.

الترجمة

تعتبر الترجمة طريق تواصل بين الأنا والآخر، فمن خلالها يمكن التعرف على آداب وحضارة الآخر والإطلاع عليها والاستفادة منها.

لقد كان لاتصال الأوروبيين بالعرب في المشرق والأندلس أثره البالغ في تطوير الفكر في أوروبا، فمنذ منتصف القرون الوسطى بدأ الأوروبيون يهتمون بثقافة العرب وعلومهم وذلك عن طريق تعلم اللغة العربية، وترجمة علوم العرب من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية،[1] وفي هذا الصدد تقول هونكه:" لقد انطلق الأوروبيون إلى مدن اسبانيا ومدن المشرق سعيا وراء المعارف العربية، فتدفق سيل الترجمة تدفقا متواصلا لم يكن بوسع أحد أن يمنعه، فترجم كتاب "الكليات لابن رشد وأصبح اسمه في اللاتينية Colliget لـ Averroes، وكتاب "التيسير" لابن زهر الذي عرف باللاتينية بـAvenzoar الذي ترجم مرتين على التوالي، ومن صقلية جاءت ترجمة أضخم كتاب للرازي "الحاوي" والمسمى باللاتينية Continens Rhases، وهكذا ظلت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية على أشدها حتى القرن السادس عشر وأضيفت أشياء جديدة لم تكن معروفة، وأعيدت ترجمة كتب أخرى مرة ثانية ككتابي "القانون" و "زاد المسافرين" لابن الجزار وكتب أخرى للرازي ولابن رشد، وبهذا انطلقت فكرة جبارة لم يقدر أي من العلماء في القرون التي تلت إلا أن يتأثر بها."[2]

[1]– ينظر: محمد عباسة، **العلاقات الثقافية بين العرب والإفرنج خلال القرون الوسطى**، مجلة حوليات التراث، العدد13، 2013، ص7.

[2]– ينظر: **زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.ص303-304

كما ينبغي أن نشير إلى أن الأوروبيين قد اختلفت نواياهم عند ترجمتهم لكتب المسلمين، فالكنسيون كانوا يترجمون الكتب الإسلامية للرد على المسلمين ومجادلتهم، وذلك رغبة في إخضاع الشعوب الإسلامية واستعمارها، وهناك من كان هدفهم نشر معارف المسلمين في أوروبا بها.[1]

لقد لعبت الترجمة دورا في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا، وذلك عن طريق ترجمة العديد من الكتب والمخطوطات العربية إلى اللغة اللاتينية، وبالتالي فإن الترجمة ساهمت وبدور كبير في تعرف الشعوب على حضارات وثقافات بعضها البعض .

التجارة

كان للعرب قبل الإسلام معرفة بالتجارة، وخبرة بها، ولها عندهم منزلة مرموقة، ولما جاء الإسلام، واتسعت الفتوحات، وارتقت الزراعة، والصناعة ونشطت التجارة، واتسعت حتى أصبح للمسلمين صلات تجارية، مع معظم بلاد العالم، وامتدت تجارتهم إلى الشرق حتى وصلت إلى الفلبين والصين، وإلى الغرب حتى وصلت إلى بلاد الفرنجة، وإلى الجنوب حتى وصلت إلى نيجيريا، والحبشة، وسواحل أفريقيا، وإلى الشمال حتى وصلت إلى بلاد الروس التي ظلت إلى ما بعد الحروب الصليبية، هي الطريق بين شمالي أوروبا والشرق.

وسرعان ما أصبح كثير من المدن الإسلامية مراكز حافلة بمظاهر التبادل التجاري البري والبحري، ومن أهم هده المدن، بغداد، والبصرة والقاهرة والإسكندرية، وسيراف، وأصفهان. ومرافئ الشام كطرابلس، وصيدا، وبيروت.[2]

لقد دخلت البضائع الواردة من "أقاصي الشرق" إلى "أقاصي الغرب"، الحياة اليومية الأوروبية. ولم تعد تقتصر على استعمال التوابل والبخور فقط وانما تعدتها إلى الإنتفاع بالحشائش الطبية، فأصبحت هذه كلها من ضروريات حياة رجال الكنيسة، ورهبان الأديرة الذين لم يعد في مكنتهم الإستغناء عنها

[1] – ينظر: محمد عباسة، **العلاقات الثقافية بين العرب والإفرنج خلال القرون الوسطى**، ص 12.

[2] – أبو زيد شلبي، **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، ص270.

على موائدهم، فلولا الهبات التي تدفقت من الشرق العربي القصي لكانت وقعت في حيرة من أمرها، ومع ذلك فقد اضطر هؤلاء برمتهم إلى الإنتظار مدة طويلة قبل أن يتمكنوا من التمتع بمثل هذه الرفاهية،إن هذه التجارة قد ازدهرت أيّما ازدهار، وشملت آفاقا لا حصر لها، أكثر مما كانت عليه حين كانت تسلك طرق الألب والبلاد الغالية لتصل إلى كامبري وقلب بلاد الجرمان.[1]

كما لا ننسى الحروب الصليبية وصقلية اللذان كان لهما دور في انتقال الحضارة الإسلامية والتعريف بها وبثقافتها في الغرب.

[1] – ينظر: **زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.ص23-24.

المبحث الثالث: زيغريد هونكه وهمها الفكري الداعي إلى خدمة الحضارة العربية.

إن الذي يطالع ما كتبته هونكه، يدرك مقدار إنصافها للإسلام وحضارته في زمن قل فيه المنصفون، حتى من أبناء الإسلام ذاته، فنجدها في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" تقوم بالتعريف بكنوز الحضارة العربية التي ساهمت في بناء الغرب.

تقول هونكه في كتابها القيم:«إن ما حققه العرب لم تستطع أن تحققه شعوب كثيرة أخرى كانت تمتلك من مقومات الحضارة ما قد كان يؤهلها لهذا بيزنطية وريثة الحضارتين الشرقية والإغريقية بقيت على جهالتها، مع أنها بلغتها اليونانية، كانت أقرب الناس إلى الحضارة الإغريقية، والسوريون، هم تلامذة الإغريق، كان لهم من الحضارة قبل الإسلام حظ وفير، ولقد نقلوا، عن طريق الترجمة، كثيرا من أعمال الإغريق إلى لغتهم، ولكنهم أيضا كبيزنطية، فشلوا في أن يجعلوا مما اقتبسوه عن طريق الإغريق بذرة لحضارة تزدهر كما فعل العرب فيما بعد، ولم تكن فارس التي اقتبست من حضارات الصين والهند والإغريق بأسعد حظا من بيزنطية أو سورية... فإنه لم يتح لحضارة تلك البلاد أن تصبح حضارة مبتكرة مؤثرة إلا في جو عقلي آخر وفي ثنايا حضارة ثانية أنجح هي الحضارة العربية.»[1]

فلما كانت أوروبة تغط في نوم عميق في القرون الوسطى، وكان الجهل يخيم في أرجائها، ولم تعرف عن الفلسفة والطب والرياضيات والكيمياء والفلك... إلا النذر القليل، بينما كان العلماء المسلمون يتحدثون في حلقاتهم العلمية عن كروية الأرض ودورانها والأجرام السماوية وحركاتها والجاذبية الأرضية وقوانينها... كانت عقول الأوروبيين تمتلئ بالخرافات والأساطير، وتعيش في الجهالات والأوهام...[2]

ولهذا أفصحت هونكه عن رغبتها في تثبيت حقائق التاريخ والإعتراف بأفضال الحضارة العربية على الحضارة الغربية والتعريف بكنوزها التي ساهمت في بناء الغرب وكانت سببا في نهضة أوروبا الحديثة.

---

[1]- زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص27.

[2]- ينظر: عبد الله ناصح علوان، **معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية**، ص 24.

1- على الصعيد اللغوي

لما أقبل الغرب على حضارة المسلمين في القرون الوسطى، أخذ يرتشف الكثير من علومهم ومعارفهم، فارتشف مع حضارة العلوم أصالة اللغة، ونهل مع مدينة المعارف الأشياء، فجاءت اللغات الأوروبية من جراء هذا الارتشاف والاقتباس مطعمة بكلمات عربية أصيلة حتى في ألفاظ التخاطب والكلمات الاصطلاحية العلمية.[1]

حيث تقول هونكه: «أجلا إن في لغتنا كلمات عربية عديدة، وإننا لندين –والتاريخ شاهد على ذلك- في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب. وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زيّنت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب، الذي كان يوما من الأيام قاتما كالحا باهتا، وزركشته بالتوابل الطيبة النكهة، وطيبته بالعبير العابق، وأحيانا باللون الساحر، وزادته صحة وجمالا وأناقة وروعة ...»[2]

وهذه بعض الكلمات الأجنبية والاصطلاحات العلمية التي تعود إلى أصل عربي:

من أسماء الأشياء المعروفة والمتداولة: مقهى(Café) ، سكر(Zucker) ، القندي (conditor)، حقيبة(Coffer)، القطن(Katun)، الزعفران (Safran)، غرافة (Karaffe)، بنان الموز(Bananen)، النارج (Orange) ، السبانخ(Spinat)، الرز (Reis)، شربة(Sorbett)...

بالإضافة إلى أسماء النجوم والكواكب كالغول (Algul)، والكور (alkor)، والطير(Attalr)... ولم ينحصر الأمر بأسماء النجوم فحسب بل تعداها إلى الرموز الفلكية كالسمت (Zemith)، والنظير(Nadir) بالإضافة أسماء السفن مثلا: دّو(Dau)، دنجي (Dingi)، أمير البحر (Admiral) ...[3]

---

[1]- ينظر: عبد الله ناصح علوان، **معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية**، ص49.

[2]- زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص 20

[3]- المصدر نفسه، ص.ص17-118.

بالإضافة إلى اصطلاحات العلمية مثل: القرينة، السائل المائي، السائل الزجاجي...

2- على الصعيد الإقتصادي

لقد تحدثت هونكه عن التجارة التي كانت قائمة بين البلاد الإسلامية وبين الكثير من البلدان الأوروبية والأسيوية وغيرها حيث تقول:«والواقع، أنه كان للشرق حينئذ تجارة واسعة المدى مترامية الأطراف تكاد تختفي البلاد المسيحية في ظلها، تجارة تمتد عبر بحر الخزر والفولجا إلى الشمال، شاملة كل الشواطئ وجزر بحر البلطيق، وقد لقطت أرض تلك البلدان آلافابل ملايين من العملة العربية من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر، وإن في هذا لدليلا على مدى إشعاع الحضارة العربية، ومدى انتشار تجارة لم تقف أحكام دينية متحيزة في وجهها...»[1]

وبهذا دخلت البضائع الواردة من أقاسي الشرق إلى أقاصي الغرب الحياة اليومية الأوروبية ولم تعد تقتصر على استعمال التوابل والبخور فقط بل تعدتها إلى الانتفاع بالحشائش الطبية بالإضافة إلى القطن والحرير والعطور....

ولم يكتفي الأوروبيين باستراد كل منتوج تجود به البواخر العربية فحسب، بل استلهموا كذلك رموز العرب الثقافية كالزهرة والأسد والنسر المزدوج، وهي رموز عربية نراها في آثار السوماريين والسلاطين السلجوقيين.[2]

3- على الصعيد الصناعي

لقد أبدع العرب في مجال الصناعة التي أحدثت تحولا كبيرا في النهضة الصناعية الحديثة، فقد استفادت أوروبا من صناعاتهم أعظم استفادة ومن أهم الصناعات التي أبدعوا فيها:

[1]- زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص27.

[2]- المصدر نفسه، ص 23-42.

***الـورق**

يعتبر العرب هم أول من أحل الورق محل الرّق وقد أضاف صفحة مشرقة لتاريخ العرب حيث تقول هونكه: «لقد فتح ورق العرب هذا عصرا جديدا، لم يعد العلم فيه وقفا على طبقة معينة من الناس، بل غدا مشاعا للجميع ودعوة لكل العقول لأن تعمل وتفكر.» فاستعمال الورق أدى إلى إختراع فن الطباعة، فالورق يعتبر ناشر الثقافة بدون أي منازع .[1]

*** استخدام البوصلة في الملاحة**

العرب أول من استخدموا البوصلة وذلك عام 1269 م حيث أخذوا عن الصنيين الإبرة المغناطيسية التي تشير دوما إلى الشمال، ثم نقل بطرس فون ماريكور عن العرب استعمال البوصلة ومعلومات عن المغناطيس وأدخلها إلى أوروبا.[2]

***صناعة البارود:**

إن العلماء العرب وضعوا نظرية تركيب البارود المندفع كما تمكنوا من أن يستعملوا البارود القاذف كمادة دافعة للصواريخ، بالإضافة إلى الطوربيدات المزودة بمحركات صاروخية، ويعتبر عرب الأندلس هم أول من استعمل القذائف النارية في أوروبة لأهداف عسكرية، فأصبحوا بذلك أساتذة الأوروبيين أيضا في هذا الحقل.[3]

بالإضافة إلى صناعات أخرى كصناعة الفخار والمنسوجات، وصناعة المعادن والزجاج، وصناعة الذهب والفضة والسكر... وغيرها.

---

[1] – ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**،ص.ص46-47.

[2] – ينظر:المصدر نفسه، ص.ص47-48.

[3] – ينظر: المصدر نفسه، ص.ص 50-51.

4-على الصعيد الزراعي

لقد تقدم المسلمون في مجال الزراعة تقدما ملحوظا وكان لهم الدور الأكبر في هذا المجال تقول هونكه:«أدخل العرب إلى أوروبا نباتات لم تكن معروفة من قبل، كالخيار والقرع العسلي والبطيخ الأصفر والأرضي شوكة والسبانخ والكبر، بالإضافة إلى الليمون والبرتقال واللارنج والخوخ والإجاص، والرز والزعفران، وقصب السكر، بالإضافة إلى زراعتهم الزينية كشجرة الكستناء الهندي والبيلسان والياسمين والورد وشقائق النعمان والكاميليا... كما أمدوه كذلك بطرق الري المختلفة وفنية استعمال الماء المعتددة التي برع فيها العرب كل البراعة.»[1]

ويقول فدوى طوقان في كتابه "تاريخ العرب" :«... وكان المسلمون يعرفون خواص الأتربة، والسماء الملائم لها .. أكثر من غيرهم إلى درجة عالية، وكان لذلك أثره في الزراعة.»[2]

5-على الصعيد العلمي

أ- الرياضيات

لقد اهتم العرب اهتماما كبيرا بالرياضيات حيث نبغوا فيها وتقد موافي أبحاثها وأضافوا إلى ما نقلوه عن اليونان والهنود الكثير مما لم يكن معروفا من قبل.

تقول هونكه:«كل الأمم المتحضرة تستخدم اليوم الأرقام التي تعلمها الجميع عن العرب، ولولا تلك الأرقام لما وجد اليوم دليل تليفوتات أو قائمة أسعار تقرير البورصة.... وهم يسمونها بالأرقام العربية، لكن العرب أنفسهم يؤكدون أنهم قد أخذوا أرقامهم عن الهنود، وهم الذين ابتكروا أسلوب كتابة

[1] - ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**،ص52.

[2] - عبد الله ناصح علوان، **معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية، ص40**

الأرقام في الخانات، وعندما نقل الغرب عن العرب أرقامهم نقلوا معها طريقتهم في قراءة الأرقام من اليمين إلى اليسار، الآحاد أولا ثم العشرات.»[1]

والثابت أن الغرب لم يعرفوا الصفر قبل القرن الثاني عشر الميلادي بينما تحدثنا المصادر العربية أن المسلمين كانوا يعرفونه في القرن الثامن، والصفر يعتبر من أخطر النظريات التي اهتدى إليها العقل البشري في الرياضيات، وفضل العرب فيه عظيم، يقول المؤرخ "أير":«إن فكرة الصفر تعتبر من أعظم الهدايا العلمية التي قدمها المسلمون إلى غرب أوروبا.» والواقع أن علامة الصفر خطوة عظيمة الأهمية جدا في تصحيح الحساب.

كما يعتبر العرب هم الذين طوروا علم الجبر حتى قبل: أنهم هم الذين اخترعوه، ومازال متحفظا باسمه العربي في كافة اللغات الأوروبية، وإذا كان بعض الباجثين يميل إلى أنهم ليسوا هم الذين وضعوا أصوله فإنه يكفيهم أن يكونوا هم الذين اكتشفوا هذه الأصول، وأضافوا إليها وأوجدوا منها علما حقيقيا، ثم طبقوه على الهندسة.[2]

وكذلك كان أمرهم في الهندسة، فلم يقتصروا على المعلومات التي نقلوها عن اليونان وإنما جددوا فيها وزادوا زيادات لم تعرف قبلهم. فهم يعتبرون المؤسسين الحقيقيين لعلم المثلثات، ومبدأ "الجيب" والأشكال الأساسية لعلم المثلثات، وأضافوا وظائف جيب تمام إلى الزاوية ... وبهذا يكون العرب قد خلقوا ميدانا فسيحا من العلوم، صارت له أهمية كبرى في علم الفلك والإبحار ومسح الأراضي.[3]

وقد اشتهر بالرياضيات الكثير من علمائهم منهم:

محمد بن موسى الخوارزمي وألف كتابين هامين في الرياضيات حمل الأول منهما "حساب الجبر والمقابلة" أما كتابه الثاني كان كتابا تعليميا صغير الحجم في علم الحساب، اقتبس منه

---

[1] – ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.ص 68-78.

[2] – أبو زيد شلبي، **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، ص.ص316- 317.

[3] – ينظر:زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.ص 160-161.

الأوروبيون معارفهم الأولى في علم الجبر، وقد ظل يدرس في المدارس والجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر وبذلك قدم العرب علما جديدا إلى أوروبا، بالإضافة إلى ابن الهيثم الذي ألف كتابا جمع فيه الأصول الهندسية والعددية وأدخل في الجبر والحساب طرقا جديدة في استخراج المسائل الحسابية، من جهتي التحليل والتقدير العددي، وقام بتجارب على المرايا الكرية والمثلثة، وابتكر طريقة صحيحة لإيجاد البؤر العددي، كما اشتغل بنو موسى بن شاكر في استخراج مسائل هندسية لم يستخرجها أحد من الأولين، كقسمة الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية.[1]

وتقول هونكه: «إن أرقام العرب وآلاتهم التي بلغوا بها حدا قريبا من الكمال وحساباتهم وجبرهم وعلمهم في المثلثات الدائرية، وبصرياتهم الدقيقة، كل أفضال عربية على الغرب ارتقت بأوروبة إلى مكانة، مكنتها عن طريق اختراعاتها واكتشافاتها الخاصة من أن تتزعم العالم في ميادين العلوم الطبيعية منذ ذلك التاريخ حتى أيامنا هذه.»[2]

ب– الفلك

برع العرب في علم الفلك وفاقوا فيه أساتذتهم، فلا الرومان ولا الهنود هم الذين ساهموا في تطوير هذا العلم، وإنما كان من دواعي فحر العرب أن يفعلوا ذلك وحدهم، فعلم الفلك لدى المسلم يحمل معتقل ديني عميق، فالنجوم ومدارها والشمس وعظمتها والقمر وسيره، لدليل قاطع على عظمة الله تعالى وقدرته، كما أن حاجة العرب إلى تحديد أوقات الصلاة والصيام وتعيين اتجاه مكة المكرمة حيث القبلة، دفع المسلمين إلى الاهتمام بمظاهر السماء، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح علم الفلك أغرب حقل علمي إلى نفوسهم.[3]

---

[1] – ينظر أبو زيد شلبي، **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ص318**.

[2] – زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"، ص163**

[3] – ينظر:المصدر نفسه، ص.**ص130–131**.

ولقد بني العرب المراصد العديدة التي انتشرت في مختلف البلاد الإسلامية وكان من أهمها: مرصد المأمون في بغداد ودمشق ومرصد عضد الدولة في بغداد، ومرصد ملكشا السلجوقي في تيسابور شرقي إيران، ومرصد أميرالتير في سمرقند...

كما وفق العرب كثيرا في تطوير الإسطرلاب، بل واخترعوا آلات أخرى جديدة منطلقين من ربع بطليموس الفلكي البسيط فصفوا الربع المتنقل والربع الحائطي والربع السمتي، كما امتازوا بمهارة فائقة في اختراع ساعات الشمس وأعطوها شكلا دائريا يتوسطه محور ظاهر وتمكنوا بواسطتها تحديد موضع الشمس في كل حين ومن تحديد الوقت ووضع التقاويم الزمنية ووضع أزياج للكواكب...، كما برعوا في صنع الساعات التي تسير على الماء وعلى الزئبق وعلى الشمع المشتعل والأثقال المختلفة.[1]

ومن أشهر علمائها في الفلك:

1- أبو جعفر محمد البتاني الذي صحح بعض الأخطاء التي وقع فيها بطليموس، ونهض بالفلك ووصل فيه إلى نتائج جديدة، وكتابه "الزيج الصابي" كان أثر كبير في المشرق الإسلامي، وفي غرب أوروبا حتى مستهل القرون الحديثة، وقد عده الفلكي الشهير "لالاند" من طبقة الفلكيين العشرين الذين هم أشهر علماء الفلك في العالم.

2- أبو الريحان البيروني الذي يعد من أعمق المفكرين المسلمين في العلوم الفلكية والطبيعية والرياضية، وله فيها بحوث عظيمة ومبتكرة ومؤلفات قيمة منها كتاب "القانون المسعودي" في الهيئة والنجوم وكتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية" في تقاويم وعادات الشعوب، كما بحث في نظرية دوران الأرض حول محورها ولم يكن يخالجه أدنى شك في كرية الأرض كما توصل إلى تحديد خطوط الطول والعرض، وتحديد مقدار محيط الكرة الأرضية.

بالإضافة إلى أبناء موسى بن شاكر الثلاثة الذين اهتموا بعلم الفلك فقد قاموا بإجراء قياسات فاقت قياسات بطليموس.

[1] - ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.**ص131-141**.

3 أبو الوفاء ومما عرفه هذا العالم الفلكي هو الاختلاف القمري الثالث، كما ظهر من كتابه الخطى الذي عثر عليه "سيديو" منذ بضع سنوات، والحق أن هذا الاكتشاف الذي غرى بعد أبي الوفاء ستمائة سنة إلى " نيخو براهة" على غير حق عظيم للغاية. [1]

ج –الطب

لما انتشر الإسلام، واطمأن المسلمون إلى مدائن الأرض التي فتحوها اتجهوا إلى العلوم والمعارف فعنوا بالطب عناية فائقة، واستوحوا كتب من سبقهم من اليونان وغيرهم، ثم عدلوها وصححوها وأضافوا إلها أبوابا جديدة لم يسبقهم إلها أحد، فتقدم الطب على أيديهم تقدما واضحا.[2] فنبغوا في فن الجراحة، وتفتيت الحصاة داخل المثانة. وأوجدوا لمسات جديدة للولادة، ومعالجة تشويهات الفم والفك باستعمال عقاقة في استئصال العينية في الأغشية المخاطية، كما برعوا في فرع طب العيون وتفوقوا فيه على اليونان، بالإضافة إلى معالجة تشويهات المفاصل والعظام وأدخلوا طريقة جديدة لمعالجة خلع الكتف، ومعالجة الأمراض العقلية والعصبية، كما أبدعوا في المعالجة النفسانية.[3]

وللعرب فضل كبير آخر بالغ الأهمية على علم الطب وهو استخدام المخدر في العمليات الجراحية وذلك باستعمال الحشيش والأفيون والزؤان وست الحسن. وطوروا فرع الأمراض النسائية وأدخلوا عليها طرقا جديدة في البحث والمداواة، والطب مدين لهم بكثير من المواد الطبية التي لم يكن ليعيرها أحد أي إنتباه فصنفت تصنيفا جديدا ووصفت إمكانية استعمالها مثل: القهوة والكافور والكبابة والمسك والعنبر والزعفران والتمر الهندي وعود الندو والحشيش والصندل وغيرها... كما برع العرب كل البراعة بما قدموه من أنواع الضمادات والمساحيق والمراهم واللزوق ومراهم دبقة.[4]

---

[1] – ينظر: أبو زيد شلبي، **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، ص.**ص310–311**.

[2] –المرجع نفسه، **ص306**.

[3] – ينظر:زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.ص **277–281**.

[4] –ينظر:المصدر نفسه، ص.**ص321–328**

كما أنهم اهتموا ببناء المستشفيات في كل المدن العربية مثل: بغداد وقرطبة ودمشق والقاهرة، كما قاموا أيضا بإنشاء المستوصفات المتنقلة المحمولة بين القرى وإلى جانبها مستوصفات خاصة بالسجون، وكانت المستشفيات الكبيرة بمثابة مدارس عالية للطب، وكان يتلقى الطلاب فيها علومهم، ويتعلمون كل ما قال له أبو قراط وجالينوس وما جاء به أساتذتهم العرب الكبار أنفسهم.

كما كانوا أول من افتتح الصيدليات العامة كما أنهم ألحقوا بكل (بيمارستان) صيدلية خاصة به، وأنشئوا الصيدليات المحمولة المتنقلة.[1]

ومن أشهر أطبائهم:

أبو بكر محمد الرازي امتاز بمعارف واسعة لم يعرفها أحد قط منذ أيام جالينوس، وتعتبر رسالته عن "الحصبة والجدري" المرجع الأول في أوروبا حتى القرن الثامن عشر، وعدت أحسن ما صنف عن الأمراض المذكورة فيها، كما فرق مرض النقرص عن الروماتيزم.

ابن سينا: وهو أشهر أطباء المسلمين وأبعدهم أثر، ويعتبر أول من وضع شخيصا دقيقا عن التهاب الأضلاع والتهاب الرئة وخراج الكبد، وفرق بين الالتهاب الرئوي والبلوراوي وبين التهاب السحايا الحاد والثانوي، وبين عوارض المغص المعوي والمغص الكلوي، وفرق بين الشلل الناتج عن سبب مركزي في الدماغ والناتج عن سبب محلي....

أبو القاسم الزهراوي أدخل تحديدات كثيرة على علم الجراحة وفي مداواة الجروح وفي التشريح وإجراء العمليات.

بالإضافة إلى أطباء آخرين مثل ابن زهر، ابن جزالة، ابن بطلان، ابن الجزار... وغيرهم.[2]

وبهذا تكاد أن تكون سائر المعارف الطبية في أوروبا خلال عصر النهضة مأخوذة من عند العرب.

---

[1] – ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.ص **321–329**.

[2] – المصدر نفسه ، ص.**ص246– 277**.

د-الكـيميـــــــاء

الكيمياء من أهم العلوم التي عني بها العرب، ولهم فيها فضل كبير واكتشافات مهمة، فهم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم وملاحظاتهم الدقيقة ومستحضراتهم الهامة.

تقول هونكه:«كان العرب أول من أوجد طرق المراقبة المنظمة في ضوء الشروط التي كان بامكانهم في كل حين، أن يعيدوها وينوعوها ويراقبوها، فخلقوا بذلك علم الكيمياء التجريبي في مفهومه العلمي وأوصلوه إلى قمة رفيعة أصبحت بموجبها اكتشافات علمي الكيمياء العضوية والكيمياء غير العضوية الحديثين من الضرورات الماسّة لإرجاع الكيمياء التجريبية إلى المستوى الذي أوصلها إليه العرب، كما قال المؤرخ الانجليزي كاستم (Custom):" لقد وفق العرب إلى تحقيق اكتشافات حقيقية علمية

في علم الكيمياء وكشف تركيبات كيميائية جديدة بدل محاولاتهم الخيالية لكشف الأكسير الذي يهب الحياة ويعيد الشباب، وبدل محاولتهم لمعرفة حجر الفلسفة الذي يحول المعادن إلى ذهب.»[1]

فلقد ابتكر العرب طرق جديدة في الصهر بدل الطرق البدائية في صهر المعادن التي كانت متعبة، كما استحضروا عدد كبير من المركبات الكيميائية كماء الذهب والصودا الكاوية وكربونات البوتاسيوم والزرنيخ، وكربونات الصوديوم والنشادر ونثرات الفضة والراسب الأحمر وغيرها... كما طوروا عمليات أساسية في الكيمياء كالتصعيد والتشريح والتذويب والتبلور والتسامي والكليس والتقطير، وميوا بين التقطير المباشر وبين التقطير بواسطة الحمام المائي أو بواسطة الحمام الرملي، وابتكروا الأنبيق والأثال.

ولعل أكبر دليل على تحقيق العرب العظمة في علم الكيمياء ما نراه اليوم من كلمات وأسماء عربية ما تزال على لسان كل عالم كيميائي بل ولسان كل ربة بين منها:بنزينBanzin، الصوداSoda،

[1] – زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص325.

بودرة الطلق Talkum، عرق Arruk، صبغة حمراء Alizarin، الحنطل Alhandal....إلخ.[1]

ومن أشهر علمائها جابر بن حيان الذي ألف كتبا كثيرة في الكيمياء، وقد اشتملت كتبه على بيان كثير من المركبات الكيمياوية التي كانت مجهولة قبله، كماء الفضة، وماء الذهب، والبوتاس والسليماني، وهو أول من وصف في كتبه التقطير والتشريح والتصعيد، ومن أشهرهم أيضا الرازي وهو أول من وصف زيت الزاج والكحول وخلف أكثر من مائتي مؤلف في الطب والكيمياء والهندسة والمنطق وغيرها.[2]

هـ–الفيزياء

المسلمون الأوائل بحثوا في جميع العلوم الفيزيائية، ولكن كثيرا من بحوثهم لم تصل إلينا جميعا، لأن أكثرها ترجم إلى اللغات اللاتينية واليونانية، وأهمل مترجموها أسماء المؤلفين المسلمين، وانتحلوا بدلها أسماء أوروبية جديدة، ولولا الروح العلمية الموضوعية التي تسود بعض منصفي العلماء الأوروبيين المعاصرين من التفتيش عن الحقيقة، وإسناد الأمور إلى أصحابها لطمست كثير من الحقائق التي أبدعها الجدود الأكارم الأمجاد، ولبقينا نجهل أكثر هذه النظريات التي وضعها علماء الإسلام.[3]

والرائد في هذا المجال هو ابن الهيثم الذي وفق في دراسته لعلم البصريات وأحرز نجاحا باهرا حقق له تقدما فاق كل ماكان معروفا في مجالات هذا العلم، كما اكتشف تعليلا لكثافة مختلف الطبقات كالماء والهواء، كما اهتم بتعليل ظهور الهلال والغسق وقوس قزح، كما درس وحسب درجة الإنعكاس في المرايا المستديرة والمرايا المحرقة بالدوائر وتوصل إلى معرفة قانون تأثير العاكسات الضوئية

[1] – ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.ص**326–327**.

[2] – ينظر: أبو زيد شلبي، **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، ص**312–313**.

[3] – عبد الله ناصح علوان، **معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية**، ص.ص **33–34**.

كما اخترع أول نظارات للقراءة... وله كتاب المناظير وبهذا سيطرت نظرياته في علمي الفيزياء والبصريات على العلوم الأوروبية إلى يومنا هذا.[1]

و–الجغرافيا

أسهم العرب في تقدم علم الجغرافيا بنصيب موفور، يدل لذلك مؤلفاتهم الكثيرة فيه، وما فيها من معلومات لم تكن معروفة من قبل، وإذا كان اليونان قد سبقوهم في ذلك فإنهم هم الذين حفظوا معارف اليونان ودرسوها، ثم لم يلبثوا أن فاقوهم فيها، فصححوا ما نقلوه عنهم، وأضافوا إليه الكثير مما لاعهد لليونان ولا لغيرهم به، وقد ترجم بعض تراثهم في ذلك إلى اللاتينية في العصور الوسطى، وفي الحق أن أوروبا مدينة للعرب في معرفة المعلومات اليونانية في الجغرافيا، فهي لم تعرف هذه المعلومات إلا من الكتب العربية.[2]

فقد كان العرب شعبا يحب الترحال، وكان التوسع العظيم لدولتهم، الذي خرج بهم إلى شعوب وبلدان عدة، والذي جعلهم دائما على سفر أكبر عامل ساعدهم على جمع المعلومات الصحيحة ومقابلة النابغين من العلماء والأخذ عندهم، كما كان لرحلاتهم التي قاموا بها قصد أداء فريضة الحج أو التجارة، أو خصيصا لطلب العلم وجمع المعلومات في البر والبحر أثر كبير في قدرتهم على كتابة تقارير مفصلة في وصف البلدان التي زاروها، وبهذا بدأ علم الجغرافية عند العرب يأخذ شكلا علميا صحيحا، وبينما كان الغرب عاكفا خلف أسوار الأديرة يبحث عن الجغرافية فيما كتبه الأقدمون وما وصلوا إليه من نظرية أو استنتاجات.[3]

وقد حقق العرب تقدما في الجغرافية حيث استطاعوا أن يحددوا بدقة متناهية الموقع الجغرافي للبلدان الهامة بالنسبة لخطوط الطول والعرض وبذلك صححوا أخطاء أساتذتهم الإغريق، كما أنهم

---

[1] -ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.ص **149–150**. -

[2] – أبو زيد شلبي، **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، ص321.

[3] – زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.ص **417–418**.

كتبوا كتبا مهمة للغاية في علم الجغرافية، وكان بعضها أساسا لدراسة هذا العلم في أوروبة قرونا كثيرة.[1]

ولقد ساهمت الرحلات العالمية التي قام بها العلماء العرب أمثال ابن بطوطة، المسعودي، التاجر سليمان في زيادة المعلومات الجغرافية وتصحيح آراء خاطئة وأخطاء شائعة، ومن أشهر علمائها: الإدريسي، البتاني، وابن يونس والبيروني وابن جبير وابن سعيد وياقوت الحموي.

6-على الصعيد الأدبي

الشـــعـــــر

تقول هونكه: «والشعر العربي ظهر فجأة حوالي عام 500/ في مرآة فنية كاملة متميزة ولا ندري نحن اليوم مصدر تلك الحركة الأدبية المفاجئة، على أنه من المؤكد أن اللغة نفسها بكلماتها المنغمة قد مهدت السبيل لذلك، وبينما لقيت القافية في الأشعار السورية ميزة لبعض أفراد، نجدها قد أصبحت طابعا مميزا للشعر العربي يستكمل فيها بيت الشعر أوزانه، وينتهي كل بيت في القصيدة مهما كان عدد أبياتها، وهكذا أصبحت القصيدة العربية تزخر بالصور الحية والعواطف الجياشة تتوالى كالموج من مئات الأبيات بالوزن والقافية ذاتها.»[2]

ومن أجمل أمثلة ذلك الشعر ما كتبه امرؤ القيس حيث يقول:

ديمـــــةٌ هطلاءُ، فيهـــــا وطفٌ طَبَـــقُ الأرض تحرّى وتَـــــذُرْ

فتـــــرى الورْدَ، إذَا مَـــــا أَشْدَتْ وَتُواريـــــــهْ إذَا مـــا تَعْتَكرْ

وتَـــرى الـــضبَّ خَفيفًـــــا ماهِرًا ثـــانيًا بَرثَنَهُ، مـــــا يَنْعفـــرْ

وتَـــــرى الشجـــراءَ في ريّقـــهـــا كـــــرؤوس قُـــطعت فيها خُمُرْ[3]

---

[1] -ينظر: غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ص484.

[2] - زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص509.

[3] -المصدر نفسه، ص509

وتواصل كلامها أن الطابع الشعري قد أثر على الأوروبيين، فأخذ الشعراء الغنائيون عن الأوزان والقوافي في العربية وعن كل طابع مميز للشعر الأندلسي، ولعل أكبر دليل على ذلك ماكتبه Juan Rui من أشعار لمحبوبته وما كتبه شعراء بلاط الملك ألفونس، بالإضافة إلى ترانيم عيد الميلاد مازالت حتى اليوم تحمل الطابع العربي، بالإضافة إلى الشعراء الإيطاليين الذين تأثروا بيه تأثيرا أكبر، ونشاهد ذلك واضحا في أشعار فرنسيس الإسيزي(Franz Von Assisi) ودانتي وميكيا فيللي وغيرهم الذين نظموا على أسس الأوزان العربية.[1]

وقد قال دانتي:«إن الشعر الإيطالي ولد في صقيلة وشاع نظم الشعر باللغة العامية في إقليم بروفنسProvence جيث تلتقي الأمم اللاتينية في الجنوب، فانتشر من ذلك الإقليم أولئك الشعراء الجوالون الذين عرفوا باسم التروبادور Trobadour، واشتق الأوروبييون اسمهم هذا من كلمة تروبر Trobar، وقيل في رأي بعض المستشرقين إنها مأخوذة من كلمة طرب أو طروب، وإن إسم قصيدتهم Tenson "تينزو" مأخوذة من كلمة "تنازع" العربية... لأنهم كانوا يلقون الشعر سجالا يتنازعون فيه المفاخر والدعاوة كما يفعل القوالون حتى اليوم بين أبناء البادية المحدثين ولوحظ بين أوزانهم وأوزان الزجل الأندلسي تشابه جد قريب.»[2]

إن موضوعات الشعر العربي عديدة لا يحصيها عد، كالنفس الإنسانية تماما، ففيها المشاعر كلها من حزن عميق وشك مجنون وكره شديد، كما فيها الألم الموجع والحب،[3] وقد عرف العرب الحب نقيا عفيفا، فهو حب عذري شبيه إلى حد كبير الحب الأفلاطوني عند الإغريق، ومن أمثلة ذلك الحب العذري يروي لنا تاريخ العرب قبل الإسلام قصة جميل وبثينة اللذين لم يستطيعا التغلب على عداوة قومهما، ولكن حبهما يعلم كل زمان ومكان، ويبقى خالدا لا يقضي عليه الموت نفسه، ويعد ابن حزم هو رائد فن الغزل والحب ومن أمثلة ذلك ما قاله ابن الفارض في محبوبته:

---

[1] – ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص 510.

[2] – عباس محمود العقاد، **أثر العرب في الحضارة الأوروبية**، الهنداوي، د.ب، د.ط، د.ت، ص56

[3] – زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**،ص 513.

تَهْ دلالاً فأَنْتَ أَهـــــلٌ بذاكـــــا وتحكمْ، فالحسْنُ قَـــــد أَعطاكَـــا

ولَكِ الأمـرُ فاقصِ ما أنتِ قـــاضٍ فعليَّ الجَمَـــــــالُ قَدْ ولاّكَـــــا[1]

لم يعرف الغرب شعر الغزل ولم يكن أحد من شعراء الغرب ليعبر عن حبه بذلك الأسلوب ولم يمضي وقت كثير حتى غزا ذلك الأسلوب الغزلي كل من فرنسا وإيطاليا وصقلية والنمسا وألمانيا، غير أن الكثير من المستشرقين يحاولون إرجاع مصدر الشعر الغزلي إلى غير العرب.

لقد زاول العرب جميع أنواع الأدب كالروايات، فهم الذين ابتدعوا روايات الفروسية... بالإضافة إلى الأقاصيص نذكر مقامات الحريري ومقامات الهمذاني، ورواية ألف ليلة وليلة حيث تعد الأخيرة أكثر القصص العربية شهرة بدون شك بالإضافة إلى الحكايات والأمثال.

7-على الصعيد الفني

فن العمران

تقول هونكه:«تمتع فن البناء العربي "Arabeska" بميزاته البسيطة وأشكاله الهندسية البديعة تلتف وتتكامل في ذاتها، أساسها الوحدة المميزة تتكر مرارا، لا نهاية لها ولا بداية، وهي لا تحب الإسراف في الترف ولا البهرج الزائد، كل شيء محدود الشكل تام الوضوح منظم مرتب، وظل فن البناء العربي على قوته يصبغ ويشكل ما وجد في البلاد المفتوحة، من فنون ويؤثر على الفن الجرماني والفن الأوروبي حتى عصر النهضة.»[2]

من مظاهر الطرز الإسلامي:

1 اتخاذ الأعمدة والمنحنيات والشرفات والقباب، والمآذن والمدخل الملتوى، وبعض هذه المصادر مستوحى من بيئاتهم وأحوال معيشتهم.

2 إن المدن كانت تحاط بأسوار منيعة، ولها أبواب متينة يمكن إغلاقها عند الحاجة كأسوار بغداد.

---

[1] – ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة "**، ص,ص 521-523

[2] – المصدر نفسه ، ص480.

3 أن تكون في وسط المدينة ساحة متسعة بها أكبر مساجدها.

4 إن تخطيط المساجد كان يقوم على أربعة إيوانات مسقوفة وعقودها محمولة عمد من الرخام، وأكبرها إيوان المحراب، ويتوسط الإيوانات صحن مكشوف، كثيرا ما تتوسطه قبة تحتها فسقية.

الزخرفـــــة

وقد أخذ الغرب عن الشرق تزيين وتجميل الأبنية بالكتابات واتخذ من سورة القرآن والأحاديث البنيوية مادة لتزيين وتجميل الحوائط والعُمُد في القصور والمساجد، كما اهتموا بنحت التماثيل للطيور والحيوانات والنباتات والبشر، بالإضافة إلى الرسومات على جدران القصور وسقوفها ولقد أبدع الرسام في رسم تلك الصور، ففي مسجد قرطبة وجدت رسوم لسور من القرآن تمثل قصة أصحاب الكهف وصورا لغراب نوح.[1]

إن العرب قد اعتمدوا على فنون البناء في الأمم التي سبقتهم إلى هذه الفنون، فقد أخذوا عن الفرس الأقواس المدببة العالية، وفكرة العمود المكون من عُمُد صغيرة من المصريين.ولقد تأثر الغرب بفن البناء العربي في تزيينه للسقوف والأقبية والأركان والعمد المستديرة.

الموسيقى والغناء

"الموسيقى كالشعر، هو يعبر عن جمال الطبيعة بالألفاظ والمعاني، وهي تعبر عنه بالأنغام والألحان."

"والغناء تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعه فيكون نغمة، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متفاوتة، فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب، وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات.[2]

[1] – ينظر: زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص.ص 480-481.

[2] – أبو زيد شلبي، **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، ص224.

وتقول هونكه: العرب منذ القديم شعب يحب الغناء، تصحبهم الموسيقى من المهد إلى اللحد عبروا عنه ملء مشاعرهم بالغناء والموسيقى في عملهم ولهوهم، وفي سرورهم وآلامهم، في حبهم وحروبهم، في لذاتهم وتأثرهم، في حزنهم وأفراحهم، فقد عرفوا المغنيين والمغنيات قبيل الإسلام، وكانت المغنية ضرورية في بيوت الأثرياء احتلت نفس المكتنة التي احتلها البيانو في القرن التاسع عشر أو التي يحتلها جهاز الراديو في بيوتنا اليوم.

ولم يكن للموسيقى العربية تلك الرتابة الغربية على أسماعنا. فلم تبدأ تلك الأغاني على وتيرة واحدة إلا بعد تخريب بغداد على يد المغول. وهنا بدأ نظام الربعُ نغمة وهو ليس في الأصل بعربي.[1]

فالألحان العربية، غنية وممتعة، وكان طابع الموسيقى العربية المميز هو الإيقاع المنتظم.

كما أن الكثير من الآلات الأوروبية أصلها عربي مثل: الآلات الوترية كالعود والماندولا والماندولينا والربابة والربك...إلخ.

ومن آلات النفخ: الناي الصغير والناي الخشبي ذو المبسم، والنفير والتنبول والبوق والهورن...إلخ.

ومن الطبول: الطبل والطبلة والصنوج والنقارة.[2]

ومن أشهر الموسيقيين دزرياب، الكندي والفرابي.

8- على الصعيد الفلسفي

لم ينقل العرب كتب فلاسفة اليونان إلى العربية إلا في عصر المأمون على وجه العموم، ومن ثم نرى أن الفلسفة الإسلامية التي اعتمدت إلى حد كبير على الفلسفة اليونانية قد تأخر نضجها بالقياس إلى العلوم الأخرى، وحينما ترجموا كتب اليونان ودرسوها وتفهموها، برعوا فيها ونبغوا حتى صاروا أساتذتها.[3]

---

[1]- زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"**، ص491.

[2]- ينظر:المصدر نفسه، ص492.

[3]- أبو زيد شلبي، **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، ص295.

ومن أشهر فلاسفة الإسلام: ابن رشد وهو أعظم فيلسوف أندلسي كان له أعظم تأثير في أوروبة حيث يعد عادة شارحا لفلسفة أرسطو فقط، وبقيت فلسفته مسيطرة على الفكر الفلسفي الأوروبي من أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، حتى إن مجمع باريس اللاهوتي أصدر قرار الحرمان في سنة 1269م لكن من يردد كلام "ابن رشد" في النفس والإنسان.. وغيرها من المسائل الفلسفية.

بالإضافة إلى الفيلسوف "ابن سينا" الذي ذاع صيته في العصور الوسطى في الشرق والغرب في الفلسفة والطب.. قد أداه بحثه في الفلسفة إلى اعتبار العقل هادي النفوس الإنسانية إلى الخير، ومن أشهر كتبه كتاب "الشفاء"، ويعتبر موسوعة فلسفية كبرى حوت أقسام الفلسفة من منطق وطبيعيات وإلهيات.. وقد ترجم إلى اللاتينية، ومنها إلى بعض اللغات الأوروبية.[1]

بالإضافة إلى الكندي والفرابي وإخوان الصفا الغزالي ومحمد بن باجة وابن طفيل.

[1]- ينظر: عبد الله ناصح علوان، **معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية**، ص.ص25-26

نحمد الباري ونشكره على فضله ونعمه ورحمته، وها نحن نخط بأقلامنا الخطوط الأخيرة لهذا البحث بعد رحلة كبيرة من الجهد والتعب والسهر، وقد عرضنا هذا البحث بعد بحث وجهد عميق في موضوع جهود المستشرقين في الحضارة العربية "زيغريد هونكه " أنموذجا الذي استخلصنا منه النقاط التالية:

– الاستشراق حركة علمية عنيت بدراسة الشرق ماضيه وحاضره وثقافته ولغته وأدبه وما يتعلق به من علوم مختلفة من خلال أفكار اتسمت معظمها بالتعصب كما أنه لعب دورا بارزا في صياغة التصورات السلبية عن الإسلام والمسلمين.

– من أهم أهداف الاستشراق القضاء على الإسلام ومحاربة اللغة العربية وصبغ البلاد العربية الإسلامية بطابع الثقافة الغربية.

– تشكيك المسلمين بدينهم وذلك عن طريق تشويه صورة الإسلام بالطعن في صحة الحديث النبوي.

– تحريف بعض المستشرقين لحقائق تخص الدين الإسلامي كترجمة القرآن الكريم بصورة مزيفة.

– التقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستمدا من الفقه الروماني

–لقد كان تأثير الحضارة الإسلامية في العالم الغربي كبيرا جدا إذ انتقلت الكثير من العلوم والفنون إلى أوروبا ولعل أكبر دليل على ذلك هو اعتراف الكثير من المستشرقين بعظمة الدور الذي قامت به الحضارة الإسلامية في إثراء الفكر الأوروبي.

– لقد سعى المستشرقون إلى تحقيق أهدافهم باستخدام العديد من الوسائل والأساليب

– استخدم المستشرقون مناهج عديدة في دراسة العلوم الإسلامية منها : المنهج التاريخي، المنهج التحليلي، المنهج الإسقاطي، منهج الهدم والبناء.....

– زيغريد هونكه مستشرقة ألمانية أنصفت العرب من خلال كتاباتها فقد ألفت كتاب تحت عنوان شمس العرب تسطع على الغرب تحدثت فيه عن فضل العرب على الحضارة الغربية.

– للحضارة العربية دور في بناء الحضارة الإنسانية فتاريخ العرب هو تاريخ الإنسانية وليس الغرب كما

يدعي الكثيرون.

– ادعاء الكثير من المستشرقين أن العرب لم يكونوا سوى نقلة لعلوم اليونان وليس لهم أي دور في بناء الحضارة الإنسانية.

– بينما كان العالم الغربي يعيش في جهل وظلام شهد العالم العربي نهضة أحيا فيها علوما شتى.

– انتقال الحضارة العربية إلى الغرب عن طريق الأندلس وصقلية والحروب الصليبية والتجارة والرحلات.

– اقتباس الأوروبيين الكثير من المصطلحات العربية في حديثهم والتي لا تزال متداولة إلى يومنا هذا.

– لقد كان للعرب دور كبير في بناء الحضارة الغربية وذلك من خلال مجالات عديدة كالطب، والزراعة والصناعة والفن .....

وفي الأخير نرجو من المولى عز وجل أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا ، كما يبقى المجال مفتوحا لمن يريد التعمق أكثر في هذا الموضوع ويبدأ مما انتهينا.

زيغريد هونكه

زيغريد هونكه مستشرقة ألمانية ذائعة الشهرة أحبت العرب ومازالت، وصرفت وقتها كله باذلة الجهد للدفاع عن قضاياهم والوقوف إلى جانبهم.[1]

إنها بحق أهم وأعظم المستشرقين الألمان، بل الأوروبيين، وأكثرهم عدلا وإنصافا للإسلام وحضارته على المستويات الدين والعرق والثقافة، فقد قامت بدور مشهود في تحسين صورة العرب والمسلمين، والدفاع عن حضارتهم وثقافتهم، وأخلاقهم وتاريخهم، وتقريب الحقائق التاريخية إلى الرأي العام الغربي، دون أي تشويه أو دعاية غير مستردة بمنطق بحثي، مؤسس على أدلة علمية قوية، والتقليل من تأثير الدعايات والمزاعم التي روجتها بعض الأقلام في ديار الغرب، لأهداف تم تحديدها مسبقا وبعناية فائقة.[2]

السيرة الذاتية

ولدت زيغريد هونكه في أبريل 1913 بمدينة "كيل" الألمانية، ووالدها هو الناشر الألماني الشهير هاينريش هونكة، وقد حصصت في مقارنة الأديان، ودرست الآداب والفلسفة وعلم النفس والصحافة وتعلمت اللغة العربية وأتقنتها وأخذت في قراءة الكتب العربية والتاريخ العربي وبالأخص الأندلسي.[3]

---

[1]- زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبا"**، ص7

[2]- أحمد أبو زيد، **الإستشراق النسائي –قصة حضارة في عيون غربية منصفة–**، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 2017، ص43.

[3]- المرجع نفسه، ص 44.

وقد تناولت في أطروحتها التي تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه في جامعة برلين، أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية.[1]

وكان من بين العوامل التي عزّزت لدى هونكه نزوع التقرب من العرب والمسلمين، والتعمق في تاريخهم ومساهماتهم في الحضارة الإنسانية، زواجها من المستشرق أكاديمي كبير له اهتمامات مماثلة ويتكلم العربية بطلاقة وهو الدكتور"شولنزا" وقد أنجبا ابنا يعمل أستاذا جامعيا للتاريخ الحديث، وبنتين تعمل الأولى بمهنة الطب، في حين تعمل الثانية مربية في حقل التعليم.

وبعد الحرب العالمية الثانية وسقوط ألمانيا، ذهبت إلى المغرب، وعاشت سنتين في طنجة، ثم رجعت إلى ألمانيا واستقرت في بون، لتقوم بتأليف كتبها المشهورة عن العرب والمسلمين والأندلسيين.[2]

واختتمت المستشرقة النبيلة حياتها الحافلة باعتناق الإسلام، وتوفيت في نوفمبر عام 1999 عن عمر يناهز 83 عاما.

دراسات ومؤلفات رائعة

1- في البدء كان الرجل والمرأة الذي صدر عام 1955.

2- شمس العرب تسطع على الغرب سنة1960 وترجم إلى أكثر من 17 لغة عالمية، كانت آخرها اللغة اليابانية.

3- وفي عام 1974 اشتركت هونكه مع الدكتور مصطفى ماهر، وآخرين في مقال واسع، وضع له عنوان "أنهار من الشرق تسقي حقول الثقافة الألمانية".

4- قوافل عربية في رحاب القيصر أو الإبل على بلاط قيصر صدر عام 1976.

5- توحد أوروبا على صعيد الدين والعلوم الطبيعة صدر عام 1979 وقد صدرت الطبعة المنفخة له عام 1987.

---

[1]- زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبا"**، ص7

[2]- أحمد أبو زيد، **الإستشراق النسائي –قصة حضارة في عيون غربية منصفة–**، ص45.

6- عقيدة الملحدين المنشقين على الكنيسة أو أوروبا لها دينها الخاص بها صدر عام 1981.

7- أقوال الحضارة الغربية صدر عام 1988.

8- وفي عام 1993 صدرت الطبعة الثالثة لكتابها "ساعات حسن الطابع في التلاقح العربي الألماني" وكتابها "الإهتداء والإقتداء بالحضارة العربية" في رؤية فكرية جديدة.

9- كتابها "الله ليس كذلك" صدر عام 1995.[1]

[1]- ينظر: أحمد أبو زيد، **الإستشراق النسائي –قصة حضارة في عيون غربية منصفة–**، ص.ص46-**47**.

فـــــهـــــرس الـــموضوعـــــــات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة.....**أ–ت**

الفصل الأول: الاستشراق.....06 -36

المبحث الأول:الاستشراق مفهومه، تاريخه وعلاقته بالتبشير والاستعمار....**06-17**

مفهوم الاستشراق: *لغة..... 06

*اصطلاحا..... 07

تاريخ الاستشراق..... 10

علاقة الاستشراق بالتبشير والاستعمار 13

أ- الاستشراق والتبشير..... 13

ب- علاقة الاستشراق بالاستعمار..... 15

المبحث الثاني: دوافع الاستشراق وأهدافه..... .....**18-28**

دوافع الاستشراق.....18

أهداف الاستشراق..... .25

المبحث الثالث: وســـائــل الاستشراق وتصنيف المستشرقين.....29-36

وسائل الاستشراق.....29

المستشرقين بين التعصب والاعتدال.....33

المستشرقون المنصفون.....33

المستشرقون المتعصبون.....34

مستشرقون متعصبون بدون قصد.....35
الفصل الثاني: فضل المستشرقين على الحضارة العربية.....38-68
المبحث الأول: مفهوم الحضارة مظاهرها وخصائصها.....38-44
مفهوم الحضارة.....38
مظاهر الحضارة..... 39
خصائص الحضارة العربية الإسلامية.....40
المبحث الثاني : الاستشراق ونظرته إلى الحضارة العربية الإسلامية.....45-57
المستشرقون وموقفهم من القرآن الكريم.....45
المستشرقون وموقفهم من السنة..... 50
المستشرقون والتراث العربي الإسلامي.....52
اللغة العربية وآدابها في الدراسات الاستشراقية.....55
أ- اللغة العربية.....55
ب- الأدب العربي.....56
المبحث الثالث: مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية..... 58-68
الفصل الثالث: فضل العرب على أوروبا (زيغريد هونكه).....70-101
المبحث الأول:الرؤية الاستشراقية لزيغريد هونكه.....70-79
تاريخ أوروبا ليس تاريخا لهذا العالم.....70
الخلفيات التي دفعت أوروبا إلى التنكير بفضل الحضارة العربية.....73
حصر الأوروبيين دور العرب الحضاري بدور ساعي البريد.....75
دعوة هونكه الأوروبيين إلى الاعتراف بفضل العرب على الغرب.....77

المبحث الثاني: فاعلية الحوار الحضاري بين الأوروبيين والعرب.....79-83
طريق الأندلس.....79
الرحلات.....80
الترجمة.....81
التجارة.....82
المبحث الثالث: زيغريد هونكه وهمها الفكري الداعي إلى خدمة الحضارة العربية.....84-102
على الصعيد اللغوي.....85
على الصعيد الاقتصادي.....86
على الصعيد الصناعي.....86
على الصعيد الزراعي.....88
على الصعيد العلمي.....88
على الصعيد الأدبي.....97
على الصعيد الفني 99
على الصعيد الفلسفي.....101
خاتمة.....104-105
ملحق.....107_110
قائمة المصادر والمراجع.....112-115
فهرس الموضوعات.....117-119

*** القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**

*** المصادر والمراجع**

1-أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر للطباعة والنشر-القاهرة-، د.ط، د.ت.

2-أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، د.ب، د.ط، 1998.

3-إدوارد سعيد، الاستشراق (المعرفة-السلطة-الإنشاء)، تر:كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، د.ط، 1981.

4-إسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، مدخل علمي لدراسة الاستشراق، د.ب، ط3، 2000

5-جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج4، دار الهلال، القاهرة، 1911.

6-حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1999

7-الحسين مهدي الرحيم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة، طرابلس، د.ط، 1995.

8-رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، تر:مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، د.ط، 2011.

9-زيغريد هونكه، الإبل على بلاط قيصر، نقله د. حسام الشيمي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2001.

10-زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوروبة"، نقله فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط8، 1993.

11-شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز الحضارات السابقة، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994

12-شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2002

13-عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، الهنداوي، د.ب، د.ط، د.ت.

14-عبد الجبار ناجي، تطور الاستشراق، دار الجاحظ للنشر، بغداد، د.ط، 1981

15-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها –التبشير والاستشراق والاستعمار-،دار القلم، دمشق، ط8، 2000

16-عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت

17-عبد القاهر عبد الواحد، الاستشراق والدراسات الإسلامية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، د.ب، ط1، 2001

18-عبد الله ناصح علوان، معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، د.ب، د.ط، د.ت.

19-عبد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، د.ب، ط1، 1995

20-علي إبراهيم النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية عرض للنظرات وحضرو راقي للمكتوب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، د.ب، ط1، 1993

21-علي حسن الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ب، د.ط، 1988

22-فاروق عمر فوزي ، الاستشتشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) ، الأهلية للنشر والتوزيع، د.ب، ط1، 1998

23-مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مطبعة دار البيان، القاهرة، د.ط، د.ت

24-محمد أمين حسن محمد بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004

25-محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله –دراسة تطبيقية جول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون- توزيع دار قتيبة، د.ب، ط1، 1998

26-محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د،ت.

27-محمود ماضي، الوحي القرآني في منظور الاستشراق ونقده، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، د.ب، ط1، 1996

28-مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون –مالهم وما عليهم- ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1979

*** المعاجم والقواميس**

1-ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثامن، دار صادر، بيروت، ط1.

2-أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الأول، 2008.

3-معجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1960

4-المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط2، 2001

*** المجلات والدوريات**

1-ثائر الحلاق، مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام دراسة وصفية تحليلية، العدد 24،2012

2-خالد القاسم، مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام، إعداد أمجاد الربيعة، 18 ديسمبر 2014

3-ختام راهي مزهر، التأثير الغربي الإسلامي على الغرب الأوروبي الأندلسي وصقيلية إنموذجا، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، العدد4، 2008.

4-محمد عباسة، العلاقات الثقافية بين العرب والإفرنج خلال القرون الوسطى، مجلة حوليات التراث، العدد13، 2013

*** المواقع الإلكترونية**

www.alukah.net/literature_language/0/79281